

مجلة الناطقين بغير اللغة العربية

jnal

دورية - علمية - محكمة - إقليمية - متخصصة

تصدر عن

المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب

عضو الاتحاد النوعي لجمعيات البحث العلمي وبنك المعرفة المصري

رئيس التحرير

أ.د/ علي محمد أحمد هنداوي

أستاذ متفرغ اللغة العربية - كلية الآداب - جامعة عين شمس

نائب رئيس التحرير

أ.د / عمر ديدوح

جامعة تلمسان الجزائر

مدير التحرير

حسام شعبان عبدالشافي

باحث لغة عربية - جامعة عين شمس

المجلد الخامس - العدد (١٤) يوليو ٢٠٢٢ م

مجلة الناطقين بغير اللغة العربية

الصادرة عن المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب

عضو الاتحاد النوعي لجمعيات البحث العلمي وبنك

المعرفة المصري www.aiesa.org

رقم الايداع بدار الكتب المصرية : ٢٤٣٥٥ / ٢٠١٧

<http://jnal.journals.ekb.eg>

Impact Factor: 1.21 / 2021

DOI : 10.21608/jnal.

طبعت بالقاهرة

ISSN: 2537-0383

eISSN : 2537-0391

يتم النشر الالكتروني على المنصات الآتية



أكاديمية البحث
العلمي والتكنولوجيا
Academy of Scientific
Research & Technology



Egyptian Knowledge Bank
بنك المعرفة المصري

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إدارة المجلة غير مسؤولة عن الأفكار والآراء الواردة بالبحوث المنشورة
في أعدادها وإنما فقط تقع مسؤوليتها في التحكيم العلمي
والضوابط الأكاديمية

هيئة التحرير

أ.د/ علي محمد أحمد هندراوي	جامعة عين شمس - مصر	رئيساً للتحرير
أ.د / عمر ديدوح	جامعة تلمسان الجزائر	نائب رئيس التحرير
حسام شعبان عبدالشافي	باحث بجامعة عين شمس	مدير التحرير

أعضاء هيئة التحرير

د.رسول بلاوى	جامعة الخليج - ايران	عضواً
د. علي العمري	جامعة السلطان محمد الفاتح الوقفية - تركيا	عضواً
د. معراج أحمد الندوي	جامعة عالية ، كولكاتا - الهند	عضواً
د.محمد أكرت	جامعة عبد المالك السعدي - المغرب	عضواً
د. بوجمعة وعلي	المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين - المغرب	عضواً

ميثاق أخلاقيات النشر :

تنشر المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب من خلال إصداراتها البحوث العلمية الأصيلة والمحكمة، بهدف توفير جودة عالية لقُرَّائها من خلال الالتزام بمبادئ مدونة أخلاقيات النشر و منع الممارسات الخاطئة. وتصنف المدونة الأخلاقية ضمن لجنة أخلاقيات النشر (COPE : Committee on Publication Ethics) وهي الأساس المرشد للمؤلفين والباحثين والأطراف الأخرى المؤثرة في نشر البحوث بالمجلات من مراجعين، بحيث تسعى المجلات لوضع معايير موحدة للسلوك؛ وترغب المجلات على أن يقبل الجميع بقوانين المدونة الأخلاقية، وبذلك فهي ملتزمة تماما بالحرص على تطبيقها في ظل القبول بالمسؤولية والوفاء بالواجبات والمسؤوليات المسندة لكل طرف.

١- مسؤولية الناشر:

قرار النشر: يجب مراعاة حقوق الطبع وحقوق الاقتباس من الأعمال العلمية السابقة، بغرض حفظ حقوق الآخرين عند نشر البحوث بالمجلات، و يعتبر رئيس التحرير مسؤولاً عن قرار النشر والطبع ويستند في ذلك إلى سياسة المجلات والتقييد بالمتطلبات القانونية للنشر، خاصة فيما يتعلق بالتشهير أو القذف أو انتهاك حقوق النشر والطبع أو القرصنة، كما يمكن لرئيس التحرير استشارة أعضاء هيئة التحرير أو المراجعين في اتخاذ القرار.

النزاهة: يضمن رئيس التحرير بأن يتم تقييم محتوى كل مقال مقدم للنشر، بغض النظر عن الجنس، الأصل، الاعتقاد الديني، المواطنة أو الانتماء السياسي للمؤلف.

السرية: يجب أن تكون المعلومات الخاصة بمؤلفي البحوث سرية للغاية وأن يُحافظ عليها من قبل كل الأشخاص الذين يمكنهم الاطلاع عليها، مثل رئيس التحرير، أعضاء هيئة التحرير، أو أي عضو له علاقة بالتحرير والنشر وباقي الأطراف الأخرى المؤتمنة حسب ما تتطلب عملية التحكيم.

الموافقة الصريحة: لا يمكن استخدام أو الاستفادة من نتائج أبحاث الآخرين المتعلقة بالبحوث غير القابلة للنشر بدون تصريح أو إذن خطي من مؤلفها.

٢- مسؤولية المحكم (المراجع) :

المساهمة في قرار النشر: يساعد المحكم (المراجع) رئيس التحرير وهيئة التحرير في اتخاذ قرار النشر وكذلك مساعدة المؤلف في تحسين البحث وتصويبه.

سرعة الخدمة والتقييد بالآجال: على المحكم المبادرة والسرعة في القيام بتقييم البحث الموجه إليه في الآجال المحددة، وإذا تعذر ذلك بعد القيام بالدراسة الأولية للبحث، عليه إبلاغ رئيس التحرير بأن موضوع البحث خارج نطاق عمل المحكم، تأخير التحكيم بسبب ضيق الوقت أو عدم وجود الإمكانيات الكافية للتحكيم.

السرية: يجب أن تكون كل معلومات البحث سرية بالنسبة للمحكم، وأن يسعى المحكم للمحافظة على سريتها ولا يمكن الإفصاح عليها أو مناقشة محتواها مع أي طرف باستثناء المرخص لهم من طرف رئيس التحرير.

الموضوعية : على المحكم إثبات مراجعته وتقييم الأبحاث الموجهة إليه بالحجج والأدلة الموضوعية، وأن يتجنب التحكيم على أساس بيان وجهة نظره الشخصية، الذوق الشخصي، العنصري، المذهبي وغيره.

تحديد المصادر: على المحكم محاولة تحديد المصادر والمراجع المتعلقة بالموضوع (البحث) و التي لم المؤلف، و أي نص أو فقرة مأخوذة من أعمال أخرى منشورة سابقا يجب تهميشها بشكل صحيح، وعلى المحكم إبلاغ رئيس التحرير وإنذاره بأي أعمال متماثلة أو متشابهة أو متداخلة مع العمل قيد التحكيم.

تعارض المصالح: على المحكم عدم تحكيم البحوث لأهداف شخصية، أي لا يجب عليه قبول تحكيم البحوث التي عن طريقها يمكن أن تكون هناك مصالح للأشخاص أو المؤسسات أو يلاحظ فيها علاقات شخصية.

٣- مسؤولية المؤلف :

معايير الإعداد: على المؤلف تقديم بحث أصيل وعرضه بدقة وموضوعية، بشكل علمي متناسق يطابق مواصفات البحوث المحكمة سواء من حيث اللغة، أو الشكل أو المضمون، وذلك وفق معايير و سياسة النشر في المجلات، وتبيان المعطيات بشكل صحيح، و ذلك عن طريق الإحالة الكاملة، ومراعاة حقوق الآخرين في البحث ؛ وتجنب إظهار المواضيع الحساسة وغير الأخلاقية، الذوقية، الشخصية، العرقية، المذهبية، المعلومات المزيفة وغير الصحيحة وترجمة أعمال الآخرين بدون ذكر مصدر الاقتباس في البحث.

الأصالة و القرصنة: على المؤلف إثبات أصالة عمله وأي اقتباس أو استعمال فقرات أو كلمات الآخرين يجب تهميشه بطريقة مناسبة وصحيحة ؛ والمجلة تحتفظ بحق استخدام برامج اكتشاف القرصنة للأعمال المقدمة للنشر.

إعادة النشر: لا يمكن للمؤلف تقديم العمل نفسه (البحث) لأكثر من مجلة أو مؤتمر، وفعل ذلك يعتبر سلوك غير أخلاقي وغير مقبول.

الوصول للمعطيات والاحتفاظ بها: على المؤلف الاحتفاظ بالبيانات الخاصة التي استخدمها في بحثه، وتقديمها عند الطلب من قبل هيئة التحرير أو المقيّم.

مؤلفي البحث: ينبغي حصر (عدد) مؤلفي البحث في أولئك المساهمين فقط بشكل كبير وواضح سواء من حيث التصميم، التنفيذ، مع ضرورة تحديد المؤلف المسؤول عن البحث وهو الذي يؤدي

دوراً كبيراً في إعداد البحث والتخطيط له، أما بقية المؤلفين يُذكرون أيضاً في البحث على أنهم مساهمون فيه فعلاً، ويجب أن يتأكد المؤلف الأصلي للبحث من وجود الأسماء والمعلومات الخاصة بجميع المؤلفين، وعدم إدراج أسماء أخرى لغير المؤلفين للبحث؛ كما يجب أن يطلع المؤلفون جميعاً على البحث جيداً، وأن يتفقوا صراحة على ما ورد في محتواها ونشرها بذلك الشكل المطلوب في قواعد النشر.

الإحالات والمراجع: يلتزم صاحب البحث بذكر الإحالات بشكل مناسب، ويجب أن تشمل الإحالة ذكر كل الكتب، المنشورات، المواقع الإلكترونية و سائر أبحاث الأشخاص في قائمة الإحالات والمراجع، المقتبس منها أو المشار إليها في نص البحث.

الإبلاغ عن الأخطاء: على المؤلف إذا تنبه و اكتشف وجود خطأ جوهرياً و عدم الدقة في جزئيات بحثه في أي زمن، أن يشعر فوراً رئيس تحرير المجلات أو الناشر، ويتعاون لتصحيح الخطأ.

شروط النشر :

- يجب أن لا يتجاوز البحث المقدم للنشر عن (٤٠) صفحة ، متضمنة المستخلصين : العربي ، والإنجليزي على أن لا تتجاوز كلمات كل واحد منهما (٢٠٠) كلمة ، والمراجع.
- يلي المستخلصين : العربي ، والإنجليزي ، كلمات مفتاحية (Key Words) لا تزيد على خمس كلمات (غير موجودة في عنوان البحث)، تعبر عن المجالات التي يتناولها البحث؛ لتستخدم في الكشف.
- تكون أبعاد جميع هوامش الصفحة الأربعة (العليا، والسفلى، واليمنى، واليسرى) (٣) سم، والمسافة بين الأسطر مفردة.
- يكون نوع الخط في المتن للبحوث العربية وللبحوث الإنجليزية (Times New Roman)، بحجم (١٣).
- يكون نوع الخط في الجداول للبحوث العربية وللبحوث الإنجليزية (Times New Roman)، بحجم (١٠). وتستخدم الأرقام العربية (١-٢-٣...Arabic) في جميع ثنايا البحث.
- يكون ترقيم صفحات البحث في منتصف أسفل الصفحة.
- يكتب عنوان البحث ، واسم الباحث ، أو الباحثين ، والمؤسسة التي ينتمي إليها، وعنوان المراسلة، على صفحة مستقلة قبل صفحات البحث. ثم تتبع بصفحات البحث، بدءاً بالصفحة الأولى حيث يكتب عنوان البحث فقط متبوعاً بكامل البحث.

- يراعى في كتابة البحث عدم إيراد اسم الباحث، أو الباحثين، في متن البحث صراحة، أو بأي إشارة تكشف عن هويته، أو هوياتهم، وإنما تستخدم كلمة (الباحث، أو الباحثين) بدلاً من الاسم، سواء في المتن، أو التوثيق، أو في قائمة المراجع.
- أسلوب التوثيق المعتمد في المجلة هو نظام جمعية علم النفس الأمريكية، الإصدار السادس.
- يتأكد الباحث من سلامة لغة البحث، وخلوه من الأخطاء اللغوية والنحوية.
- توضع قائمة بالمراجع العربية بعد المتن مباشرة، مرتبة هجائياً حسب الاسم الأول أو الأخير للمؤلف (اختياري) ، وفقاً لأسلوب التوثيق المعتمد في المجلة.
- في حال قبول البحث للنشر تؤول كل حقوق النشر للمجلة، ولا يجوز نشره في أي منفذ نشر آخر ورقياً أو إلكترونياً، دون إذن كتابي من رئيس هيئة التحرير.
- الآراء الواردة في البحوث المنشورة تعبر عن وجهة نظر الباحثين فقط، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.
- يحق للباحث استلام نسخة ورقية من العدد ، وعند طلب نسخ أخرى أو مستلات اضافية للبحث أو ارساله بريدياً يتم تسديد تكلفتهم مع رسوم النشر.
- يتم تقديم البحوث إلكترونياً من خلال بريد المجلة الإلكتروني أو موقعها:

search.aiesa@gmail.com

<http://jnal.journals.ekb.eg>

محتويات العدد	
-	افتتاحية العدد
١ - ١٠	صعوبات تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها أنس ملموس
١١ - ٤٦	دروس حديثة من قصة نوح كما وردت في القرآن عبد الباقي يوسف
٤٧ - ٦٢	ديداكتيك التحدث: مقارنة لسانية معرفية د. عبد الرحيم ناجح
٦٣ - ٩٢	تنمية الوقف -دراسة موضوعية على ضوء التجربة المغربية محمد أكرت
٩٣ - ١٠٤	دراسة لأضرار التدخين الاجتماعية والصحية في ديوان "الرياض" للشاعر عيسى أَلبي أبو بكر د. تاج الدين يوسف
١٠٥ - ١١٨	مجتمع المعرفة ودورة في تنمية الأسرة والمجتمع د. سعاد محمد الجاسم

افتتاحية العدد:

قال أبو بكر الزبيدي :

"ولم تزل العربية تُنطق على سجيّتها في صدر إسلامها وماضي جاهليتها ، حتى أظهر الله الإسلام على سائر الأديان، فدخل الناس فيه أفواجا وأقبلوا إليه أرسالا" أي : أفواجا ، واجتمعت فيه الألسنة المتفرقة، واللغات المختلفة ، ففشا الفساد في اللغة العربية واستبان منه في الإعراب الذي هو حلّها ، والموضّح لمعانها. فتفتنّ لذلك من نافر بطباعه سوء أفهام الناطقين من دخلاء الأمم بغير المتعارف من كلام العرب ، فعظّم الإشفاق من فُسُوْ ذلك وغلبته ، حتى دعاهم الحذر من ذهاب لغتهم وفساد كلامهم إلى أن سبّبوا الأسباب في تقييدها لمن ضاعت عليه ، وثقيفها لمن زاعت عنه طبقات النحويين واللغويين . وبحث الدكتور شوقي ضيف عن أسباب وضع النحو ، فردّها الى بواعث مختلفة : "منها الدينيّ ومنها غير الدينيّ . أما البواعث الدينية فتراجع الى الحرص الشديد على أداء نصوص الذِّكر الحكيم أداءً فصيحاً سليماً إلى أبعد حدود السلامة والفصاحة ، وخاصة بعد أن أخذ اللحن يَشيع على الألسنة " . وزاد على البواعث الدينية بواعث أخرى سمّاها بواعث قوميّة عربيّة وبواعث اجتماعية.

أما البواعث القومية فتراجع "إلى أن العرب يعزّزون بلغتهم اعتزازاً شديداً ، وهو اعتزاز جعلهم يَحْشَوْنَ عليها من الفساد حين امتزجوا بالأعاجم مما جعلهم يحرصون على رسم أوضاعها خوفاً عليها من الفناء والدّوبان في اللغات الأعجمية " المصدر نفسه ١٢. وأمّا البواعث الاجتماعية " فتراجع إلى أن الشعوب المستعربة أحسّت الحاجة الشديدة لمن يرسم لها أوضاع العربية في إعرابها وتصريفها حتى تتمثّلها تمثلاً مستقيماً ، وتتقن النطق بأساليبها نطقاً سليماً " المصدر نفسه. وظهرت تلك البواعث عند الدكتورة خديجة الحديثي بتسمية أخرى ، فأطلقت عليها اسم الدوافع الى نشأة النحو، فقالت :

"ولم يكن الحفاظ على القرآن هو الدافع الوحيد إلى التفكير في وضع قواعد وأصول لحماية اللغة وضبطها ، وإنما كانت هناك دوافع أخرى تضافرت جميعها على القيام بهذا العمل الجليل ، وأوضّح هذه الدوافع :

١. الدافع الدينيّ : وهو الدافع الرئيس والسبب المباشر الذي أدّى إلى التفكير في وضع ما يسمى علم العربية على اختلاف فروعه وعلومه من أصوات ولهجات ومُعْجَمَاتٍ وغريبٍ ونحوٍ وصرف.

فقد كانت خشية المسلمين على كتابهم أن يصيبه اللحن في قراءته أو التصحيف في أحرفه ، فيؤدّي ذلك الى تحريف آياته، وتغيير المفهوم منها ، وبذلك تتغير الأحكام المأخوذة منه ، والمبنية عليه ، فيصبح المفهوم من الآية كفراً وهو إيمان أو حراماً وهو حلال .

٢. الدافع الاجتماعي : ويأتي هذا الدافع مُكمِّلاً للدافع السابق ، ومرتبطة به أشدُّ الارتباط وأوثقه ، فقد كانت البيئات الإسلامية كافة تُغصُّ بالقوميات المختلفة التي كانت تسكن في البلاد المفتوحة أو التي هاجرت إليها بعد الفتوح الإسلامية ولاسيَّما البصرة ...

فخشى علماء المسلمين على لغة القرآن أن يصيبها التحريف نتيجة هذا الاختلاط ، ولكثرة الداخلين في الإسلام من الذين يؤدِّي بهم جهلهم إلى الخطأ في قراءة القرآن ، فأخذوا يبذلون الجهود في سبيل ضبط اللغة وإبعاد اللحن ...

وكان لرغبة الداخلين في الإسلام في تعلُّم العربية لغة القرآن، والعبادات الدينية ولغة الدولة الحاكمة ليُصلِّحوا بها أمور دينهم ، وليستطيعوا مشاركة العرب في إدارة شئون الدولة.

٣. الدافع اللغوي القومي : كان في البلاد العربية عند نشوء اللحن ووقوعه في اللغة العربية ثلاث لغات متداولة ...

أ. اللغة المحكيَّة في الحواضر حتى نهاية القرن الأول ، أو اللغة المثالية وبها نزل القرآن
ب. اللغة البدوية المستخدمة في البوادي وهي التي اعتمدها النحويون واللغويون .
ج. لغة الحواضر المحكية بعد القرن الأول للهجرة ، التي استخدمت في مكة والمدينة والطائف والحيرة وأطراف الشام.

"وقد أدَّى اختلاط لغات هذه الحواضر بلغات القوميات المختلفة وغيرها إلى فساد لغتها... ولذلك أصبحوا يرسلون أولادهم إلى البادية لتلقي اللغة الفصيحة... وبعد انتشار الإسلام خاف العرب المسلمون على لغتهم لغة القرآن من التحريف والدُّوبان والضياح ، ودفعهم الأمر إلى ضبطها وتقريبها بما وضَّعوا لها من قواعد .

رئيس التحرير

أ.د/ علي محمد هنداوي



صعوبات تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها The challenges of teaching Arabic to non-native speakers

إعداد

أنس ملموس
Anas Malmus

جامعة مولاي إسماعيل بمكناس - المملكة المغربية

Doi: 10.21608/jnal.2022.249285

٢٠٢٢ / ٥ / ٧	استلام البحث
٢٠٢٢ / ٥ / ٢٥	قبول النشر

ملموس، أنس (٢٠٢٢). صعوبات تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها. *مجلة الناطقين بغير اللغة العربية* ، المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب، مصر، مج(٥)، ع(١٤)، ص ص ١ - ١٠.

صعوبات تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها

المستخلص :

تروم هذه الورقة الكشف والوقوف على أبرز الصعوبات والتحديات التي تطرح بحدّة في مجال تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها والتي تعترض متعلم اللغة العربية ومعلمها على حد سواء خلال عملية تعليمها وتعلمها. كما تسعى هذه الورقة إلى تعداد ورصد أهم الصعوبات التي من شأنها أن تؤثر سلباً على السير العادي لعملية تعليم وتعلم اللغة العربية مع إبراز مكانها وأسسها، فضلاً عن كونها تقدم مجموعة من الخبرات والاقتراحات العملية المؤدية إلى تجاوز وتلافي صعوبات ومشاكل تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها. وتتأسس هذه الورقة على مجموعة من التساؤلات المترابطة من أهمها نذكر:

• ما أبرز الصعوبات والمشاكل التي تطرح بحدّة في مجال تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها؟

• وإلى ما تعود أسباب ودواعي هذه الصعوبات؟
الكلمات المفتاحية: اللغة العربية - تعليم العربية للناطقين بغيرها - صعوبات ومشاكل تعليم اللغة العربية.

Abstract:

This paper aims to reveal and stand on the most prominent difficulties and problems that are acutely posed in the field of teaching Arabic to non-native speakers and that face both the Arabic language learner and its teacher during the process of teaching and learning it. This paper also seeks to enumerate and monitor the most important difficulties that would negatively affect the normal course of the process of teaching and learning the Arabic language, highlighting its foundations, as well as presenting a set of options and suggestions that lead to overcoming and avoiding the difficulties and problems of teaching Arabic to non-native speakers. This paper is based on a set of interrelated questions, the most important of which are:

- What are the most prominent difficulties and problems that arise sharply in the field of teaching Arabic to non-native speakers?
- To what are the causes and reasons for these difficulties?

Key words: Arabic language - Teaching Arabic to non-native speakers - Difficulties and problems of teaching Arabic.

تقديم:

يعرف مجال تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها في الآونة الأخيرة ازدهارا متناميا ومتسارعا نتيجة تهاافت وشغف الأجانب على اكتشاف وتعلم اللغة العربية، وذلك رهين ومرتبط في أساسه بالوضع الذي أصبحت عليه اللغة العربية والذي خول لها احتلال مواقع مهمة في التصنيف الدولي للغات...، وأيضا نظرا لكونها تعد وسيلة أساسية لتحقيق بواسطتها مجموعة من الغايات والأغراض من أبرزها الولوج والاندماج في الأوطان العربية قصد الاستقرار أو العمل فيها.

ويعد مجال تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها فرعا مخصصا ومحددا ينتمي للأصل المعروف بتعليم وتعلم اللغات، وعليه، فإن عملية تعليم اللغات ليست بالعملية اليسيرة والهينة بل لا بد أن تعترئها مجموعة من الصعوبات والمشاكل التي من شأنها أن تشكل عائقا يعسر الفعل التعليمي للغات، ويمكنها أيضا أن تشكل سببا وجيها في إعراض المتعلمين عن تعلم اللغة.

بناء على ما تقدم، فإن ورقتنا هذه ترصد أبرز الصعوبات والمشاكل التي يمكن أن تعيق عملية تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، والوقوف على مكانها أهم أسبابها.

أهداف الدراسة:

تروم هذه الدراسة تحقيق مجموعة من الأهداف منها:

١. تسليط الضوء على مصادر الصعوبات التي تطرح في مجال تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها.
٢. العمل على تصنيف هذه الصعوبات وتقييمها.
٣. اقتراح بعض الحلول الإجرائية من أجل تلافيها وتجاوزها.

أهمية الدراسة:

تتمثل أهمية هذه الدراسة في عرضها وتبيانها لأهم وأبرز الصعوبات والمشاكل التي تطرح بشدة في مجال تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، فضلا عن كونها تعمل على تصنيف هذه الصعوبات بحسب الفاعلين في السياق التعليمي للغة العربية بشكل عام، كما أنها تقدم مجموعة من المقترحات العملية الكفيلة بتجاوز وتلافي هذه الصعوبات والتحديات.

أسئلة الدراسة:

تقوم هذه الدراسة على جملة من التساؤلات المترابطة نوردتها تباعا كالاتي:

١. ما أبرز الصعوبات والمشاكل التي تطرح بحدّة في مجال تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها؟
 ٢. وإلى ما تعود أسباب ودواعي هذه الصعوبات؟
 ٣. وما الاقتراحات الممكن اتباعها ونهجها للحد من هذه الصعوبات وتفايدها؟
- وللإجابة عن هذه التساؤلات سنشرع في خطوة أولى في الحديث عن مجال تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها وتبيان أسسه ومقوماته العملية، ثم سنرصد أبرز

الصعوبات التي تطرح بحدّة في فصول تعليم اللغة العربية مع ذكر وتصنيف أسبابها، وفي خطوة ثانية وأخيرة، سنقوم باستعراض وتقديم مجموعة من الاقتراحات العملية الكفيلة بتجاوز وتلافي صعوبات ومشاكل تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها.

١ - تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها:

يعتبر مجال تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها مجالا حيويا نظرا لكونه يشهد حركية وتطورا متزايدين ودائمين، وذلك رهين ومرتبطة بارتفاع موجة الطلب على تعلم اللغة العربية من طرف الأجانب وذلك من أجل غايات وأهداف شتى، وهذا ما يؤكد كل من **إيمان هريدي وعلي مذكور (٢٠٠٦: ٤)** إذ يصرحان بأن هناك من يتعلم العربية من غير الناطقين بها لفهم القرآن، وهناك من يتعلمها لدراسة الثقافة الإسلامية. وهناك من يتعلمها بغرض الالتحاق بالدراسات العربية والإسلامية في المعاهد والجامعات في البلاد العربية أو غيرها من البلاد الإسلامية وغير الإسلامية. وهناك من يتعلمها من أجل الحياة والعيش في البلاد العربية. وهناك من يتعلمها لأغراض خاصة سياسية أو تجارية أو عسكرية أو قانونية أو طبية أو هندسية، أو دبلوماسية أو إعلامية أو سياحية...

من هنا يتضح لنا أن مجال تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها هو مجال شاسع تتداخل وتلتقي فيه العديد من التخصصات في إطار تكاملي قصد خدمة وتحقيق وتلبية أهداف متعلمي اللغة العربية الأجانب.

يعتبر ميدان تعليم وتعلم اللغات والذي يندرج ضمنه مجال تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها أحد أبرز الفروع التي تنشغل بها اللسانيات التطبيقية، وهذا ما يؤكد **طلال عبد الله المرشدة (٢٠١٦: ٢٤)** إذ يعتبر أن تعليم اللغات من أهم فروع علم اللغة التطبيقي إن لم يكن هو أهمها على الإطلاق، مما حدا بكثير من علماء اللغة إلى استعمال اصطلاح علم اللغة التطبيقي مرادفا لتعليم اللغات (الأجنبية على وجه الخصوص) وهذا الفرع يعنى بكل ما له صلة بتعليم اللغات من أمور نفسية، واجتماعية، وتربوية...

ويعتبر أيضا مجال تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها مجالا دقيقا ومنظما، يقوم كما يستلزم استحضار العديد من العناصر المتداخلة والمتكاملة من أبرزها، أنه يتأسس على أطر مرجعية الخاصة بتعليم اللغات الأجنبية ومن أبرزها، الإطار المرجعي الأوروبي للغات (CEFR)، وإرشادات المجلس الأمريكي لتعليم اللغات (ACTFL)، فضلا عن كونه يقوم على مجموعة من الطرق والاستراتيجيات التعليمية، بالإضافة إلى البرامج والوسائل التعليمية المساعدة...

بالإضافة إلى ما سلف، فإن مجال تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها يعتمد على العديد من الطرائق والأساليب التعليمية مثل :

- توظيف الألعاب التعليمية.
- اعتماد الصور.
- توظيف الأغاني والأنشيد.
- دمج واستثمار التكنولوجيا الحديثة.

وتتمثل غايتها في تجويد عملية تعليم اللغة والارتقاء بها، علاوة على تيسير وتسهيل تعلمها، وتختلف الطرق والأساليب التعليمية باختلاف المستويات، كما أنها تتنوع بتنوع المهارات الأربع (الاستماع، المحادثة، القراءة، الكتابة).

٢- صعوبات ومشاكل تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها:

غالبا ما تطرح في ميدان تعليم اللغات الأجنبية بما فيه مجال تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها العديد من الصعوبات والمشاكل والتي تعترض معلم ومتعلم اللغة على حد سواء وتعيق عملية تعليم اللغة، وتنقسم هذه الصعوبات والمشاكل بشكل عام إلى قسمين هما:

- صعوبات لغوية: ترتبط باللغة المُتعلِّمة نفسها، وتبرز عند تدريس مكوناتها من تراكيب ومفردات وأصوات...

- صعوبات غير لغوية: وتتصل بالعناصر الخارجية التي تحكم السياق التعليمي العام للغة، وغالبا ما ترتبط بالمعلم أو المتعلم أو البرنامج...

وتعرف صعوبات تعلم اللغة العربية لغير الناطقين بها بحسب **لامية حمزة (٢٠٢٠)**: (٨٤٤) بأنها مجموع الأسباب التي تحول دون إتقان هاته اللغة بشكل جيد، والتي قد تكون راجعة إلى اللغة في حد ذاتها، بما تتوافر عليه من قوة أصواتها، ورصانة كلماتها وأصالتها، ووفرة معانيها، كما أنه قد تتعدد الأسباب بتعدد الأطراف المشاركين في العملية التعليمية التعلمية، بدءا بالسندات التعليمية (المنهاج والكتاب)، ومن ثمة أداء المدرس والمتدريس ومختلف الظروف الاجتماعية والنفسية والثقافية...، المحيطة بهذا الأخير.

وعليه، فإن عملية تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها تكاد لا تخلو من المشاكل والصعوبات التي قد تطفو على سطح السياق التعليمي التعليمي للغة، والتي تتخذ في عمومها شكل معيقات وموانع لها، فكما تعترض مستوى وكفاءة المتعلم اللغوية، تواجه كذلك معلم اللغة وتناو من عمله وجهده التعليمي للغة، وترتبط صعوبات تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها أساسا بجميع الفاعلين في العملية التعليمية، إذ نجدها تارة ترتبط بمعلم اللغة نفسه، وتارة أخرى نجدها تتصل بمتعلم اللغة، وفي بعض الحالات الأخرى نجد أنها ترتبط بالمحتوى أو المضمون التعليمي الذي يعكسه المدرس أو البرنامج التعليمي المعتمد.

واستنادا إلى ما سبق، فإننا سنعمل في هذا المحور على تبيان وإبراز أهم الأسباب الكامنة وراء الصعوبات غير اللغوية التي تطرح بحددة في فصول تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، والتي سنبرزها بدءا من المعلم ومرورا بالمتعلم ووصولاً إلى البرنامج. أ. الصعوبات المرتبطة بالمعلم:

يعتبر معلم اللغة بصفة عامة، واللغة العربية بصفة خاصة، فاعلا مهما في عملية تعليمها ونقلها إلى المتعلمين، كما أنها يعتبر عنصرا فاعلا لا يمكن الاستغناء عنه أو تعويضه، إلا أنه في بعض الأحيان يمكن أن يشكل عائقا ويكون سببا مباشرا في إحداث وخلق صعوبات ومشاكل في عملية تعليم اللغة، ومن أبرز أسباب

- ومصادر المشاكل التي يمكن أن يخلقها المعلم في فصول تعليم اللغة بصفة عامة، واللغة العربية بصفة خاصة، ما يلي:
- ضعف التكوين.
 - عدم التمكن من المادة المعرفية التي هو بصدد تدريسها ونقلها.
 - عدم إلمامه بطرائق وأساليب التعليم المختلفة.
 - عدم ضبطه لمجموعة من الضروريات أو أساسيات التكوين.
 - عدم تلقيه لدورات تكوينية عملية وتطبيقية.
 - إغفاله للجانب النظري.
 - عدم معرفته بخلفيات المتعلمين الثقافية.
 - عدم تمكنه من أساليب التواصل والحوار.
 - عدم استعماله للأساليب التحفيزية.
 - عدم إدراك الفوارق الحاصلة بين المتعلمين.
 - تبنيه لاستراتيجيات تعليمية متجاوزة.
 - عدم توظيفه للوسائط الرقمية في العملية التعليمية.
- إن ما تم طرحه أعلاه، يمثل مجموعة من الأسباب التي يمكن أن تخلق صعوبات ومشاكل خلال العملية التعليمية التعلمية للغة وهي ترتبط بشكل مباشر بمعلم اللغة، والتي من شأنها أن تصعب وتعسر مهمة وتجعل من عملية تعليم اللغة عملية شاقة وتسودها مجموعة من المشاكل والصعوبات لكل الفاعلين.
- ب. الصعوبات المرتبطة بالمتعلم:**
- بعد متعلم اللغة ركنا أساسيا من أركان العملية التعليمية، إذ بدونه لا يمكن أن تستقيم، إلا أنه في بعض من الأحيان يمكن أن يكون سببا مباشرا في خلق مشاكل وصعوبات في العملية التعليمية التعلمية بالشكل الذي يؤدي إلى عدم تحقيق الأهداف والغايات المنشودة والمسطرة في عملية التعليم والتعلم، ومن أبرز أسباب الصعوبات في العملية التعليمية والتي يكون متعلم اللغة سببها نذكر:
- التمثلات والمواقف السلبية تجاه اللغة.
 - غياب دافعية وحافزية التعلم.
 - عدم التقيد بضوابط وشروط التعلم.
 - الاستخفاف بالمهام والأنشطة التعليمية.
 - عدم إنجاز المهام التعليمية.
- تمثل النقاط المذكورة أعلاه أبرز الأسباب التي يمكن أن تخلق صعوبات ومشاكل خلال العملية التعليمية التعلمية للغة والتي ترتبط في أساسها بمتعلم اللغة، من شأنها أن تصعب وتعسر مهمة وتجعل من عملية تعليم اللغة عملية شاقة وتسودها مجموعة من المشاكل والصعوبات لكل الفاعلين.

ج. الصعوبات المرتبطة بالبرنامج:

يعتبر البرنامج التعليمي الحلقة التي تصل المعلم بالمتعلم، وهو بمثابة خارطة طريق توجه الفعل التعليمي وتقيده، ويعد البرنامج التعليمي أساس التعلم نظرا لكونه يشتمل على مضامين وأنشطة التعلم، فضلا عن كونه يوطر العملية التعليمية بالشكل الذي يضمن تسلسلها المنطقي، إلا أن البرنامج التعليمي في بعض الأحيان إن لم نقل في أغلبها، من شأنه أن يكون سببا رئيسيا في ظهور صعوبات ومشاكل تؤثر بشكل سلبي على العملية التعليمية ولا تؤدي دورها بالشكل المطلوب والمنشود، ومن أبرز هذه الأسباب نذكر:

- عدم اشتماله على اللغة الحية المتداولة.
- فقره من حيث المضامين والأنشطة التعليمية.
- عدم استهدافه وتنميته للمهارات الأربع.
- غير مؤسس على خلفية لسانية علمية.
- عدم مناسبته من حيث الإخراج للفئة المستهدفة.
- اشتماله على العاميات المحلية.
- تقديم القواعد بشكل صريح وجاف.
- عدم تأسيسه على مدخل معين من مداخل تعليم اللغة المعروفة.
- إقحامه للأمور والإيحاءات العنصرية...

تمثل النقاط المعروضة أعلاه مجموعة من الأسباب التي ترتبط بالبرنامج التعليمي للغة، والتي من شأنها أن تشكل مصدرا لظهور مجموعة من الصعوبات والمشاكل خلال عملية تعليم اللغة وتعلمها، بالشكل الذي يجعل منها عملية عسيرة وصعبة، وذلك نظرا لما تخلقه من تشويش واضطراب لدى المعلم والمتعلم على حد سواء.

٣- اقتراحات عملية:

سنعمل في هذا المحور على تقديم مجموعة من الاقتراحات العملية التي تهدف إلى تجاوز وتلافي الصعوبات والمشاكل التي يمكن أن تطرح في فصول تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، وتروم هذه الاقتراحات بشكل جوهري تجويد عملية تعليم اللغة العربية والارتقاء بها، ومن بين الاقتراحات الممكن تقديمها وعرضها ما يلي:

- ضرورة تشجيع معلم اللغة العربية للناطقين بغيرها على البذل والعطاء.
- إشراك معلم اللغة العربية للناطقين بغيرها في الدورات والتكوينات الأساسية الضرورية.
- إعطاء معلم اللغة حرية اختيار المضامين والمحتويات التعليمية.
- خلق بيئة مشجعة ومحفزة لكل من معلم ومتعلم اللغة.
- الانفتاح على الواقع الرقمي لخدمة الأهداف التعليمية للغة العربية.
- العمل على تنويع أساليب وطرق التعليم بالشكل الذي يضمن تحقيق الأهداف.
- خلق البيئة الملائمة للتعليم والتعلم.
- ضمان الحس التفاعلي والتنافسي داخل الفصل.

- التمكن من المهام المنوطة بالمعلم من تخطيط وتنفيذ وتقييم.
 - التخطيط الجيد للحصص والدروس.
 - ضرورة التعرف على ثقافات المتعلمين واحترامها.
 - ضرورة التمكن من المادة المعرفية المدرسة.
 - تجاوز معوقات التعلم.
 - الوعي بقيمة اللغة المدرسة.
 - الحرية في اختيار البرنامج التعليمي الملائم والمناسب.
 - توفير الوسائل والدعامات التعليمية.
 - التفكير الدائم في الأساليب والطرق الميسرة لعملية تعليم اللغة.
- إن الاقتراحات المقدمة أعلاه يمكن أن تشكل سبيلا عمليا لتجاوز الصعوبات والمشاكل التي تعترض معلم ومتعلم اللغة العربية على حد سواء، وترتبط الاقتراحات الواردة أعلاه بالصعوبات غير اللغوية، بمعنى أنها تتصل بالمشاكل التي تبرز خلال عملية تعليم وتعلم اللغة العربية، والتي من شأنها أن تشكل اضطرابات تعسر عملية تعليم وتعلم اللغة العربية أساسا.
- وتعمل هذه الاقتراحات خلق بيئة تعليمية ملائمة تروم الدفع بسيرورة تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها إلى الأمام وتجويدها، فضلا عن جعل عملية تعليم اللغة العربية ترقى إلى انتظارات وآمال متعلميها الأجانب.
- خلاصة:**

يكاد لا ينكر أحد أن ميدان تعليم وتعلم اللغات الأجنبية عموما، ومجال تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها خصوصا، يشهد صحة وتطورا مستمرين نتيجة تزايد الطلب والإقبال على تعلم اللغة العربية من لدن المتعلمين الأجانب، إلا أن هذا لا يخفي وجود صعوبات ومشاكل تعصف بعملية تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها أساسا وتعسرهما. وترتبط أسباب ودواعي هذه الصعوبات بجوانب عدة بعضها يرتبط باللغة نفسها (العناصر الداخلية للغة)، وبعضها الآخر يتصل بالظروف التي تحكم السياق العام لعملية تعليم اللغة (المعلم، المتعلم، البرنامج، الأساليب التعليمية...)، ويبقى تجاوز هذه الصعوبات والمشاكل رهينا بالانخراط الجاد للفاعلين في عملية تعليم اللغة.

لائحة المراجع المعتمدة:

- حمزة لامية، (20٢٠)، "واقع تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها: مشكلات وحلول"، أبحاث المؤتمر الدولي الأول: العربية للناطقين بغيرها: الحاضر والمستقبل، المنتدى العربي التركي للتبادل اللغوي
- المراشدة عبد الله طلال، (٢٠١٦)، بناء المهارات اللغوية في كتب تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، دار الجنان للنشر والتوزيع.
- هريدي إيمان ومذكور علي، (٢٠٠٦)، تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، النظرية والتطبيق، دار الفكر العربي، مصر



دروس حديثة من قصة نوح كما وردت في القرآن

Modern lessons from the story of Noah as mentioned in the
Qur'an

إعداد

عبد الباقي يوسف

Abdul Baqi Youssef

أديب سوري مؤلف التحليل الروائي للقرآن

Doi: 10.21608/jnal.2022.249286

٢٠٢٢ / ٤ / ٢٥	استلام البحث
٢٠٢٢ / ٥ / ١٠	قبول النشر

يوسف، عبد الباقي (٢٠٢٢). دروس حديثة من قصة نوح كما وردت في القرآن. *مجلة الناطقين بغير اللغة العربية*، المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب، مصر، مج(٥)، ع(١٤)، ص ص ١١ – ٤٦.

دروس حديثة من قصة نوح كما وردت في القرآن

المستخلص :

مع سيدنا نوح عليه السلام، ننتقل إلى مرحلة مفصلية من تاريخ الإنسان، وهي مرحلة انتهاء الإنسان تماماً من سطح الأرض، وما بقي من الإنسان هو فقط وجود نوح ومن معه في سفينة على الماء، وما دون ذلك، فلا وجود لبشرٍ قط. إذن، سوف يهود نوح عليه السلام، المسيرة الجديدة الثانية للبشرية عندما تستوي سفينته [على الجودي] هود ٤٤ .

وسوف يكون الأب الثاني للبشر بعد آدم، والخلاف بين الرجلين المؤسسين للذرية البشرية، أن الأول خلق دون أب أو أم، وقد وجد نفسه بَعثة في الجنة، والثاني وجد أن الطوفان قد سَحَقَ كل كائن بشري أينما كان تواجهه من سطح الأرض، ووجد نفسه ومن معه في سفينة، وعندما تستوي سفينته [على جبل] [الجودي]، سوف يدرك عظمة مسؤولية تأسيس إنسان جديد سوف يخلقه الله عز وجل.

ولذلك سيكون حريصاً على الإنسان كل الحرص، وخائفاً عليه كل الخوف، وكذلك قلقاً عليه كل القلق، وهو الذي قد خرج للتو من طوفان سَحَقَ الأخضر واليابس، بما في ذلك أكثر الناس قرباً إليه، فلذة كبده، وحليته، وكل ذلك تحول في هنية إلى شيء من الماضي الذي لم يعد له أي وجود.

تمهيد :

سوف تبدأ مسيرة جديدة للإنسان، وسوف تشرق عليه الشمس مرة أخرى، سوف يهطل المطر مرة أخرى، سوف ينبت الزرع مرة أخرى، سوف تتكاثر أشكال الدواب والطيور مرة أخرى، سوف تعود الحياة بكل مقوماتها وزخمتها مرة أخرى، بعد أن تلقت البشرية درساً بليغاً نتيجة تماديها في الطغيان. ويبقى الإنسان مسكوناً بالخوف من الطوفان كلما اشتد المطر، لكن بعض المؤشرات الإلهية تطمئنه بأن ذلك وإن اشتد بغزارة، فهو مطر خير وإنبات، وليس مطر طوفان وسحق، ومن بعض علامات الطمانينة ما يظهر في كبد السماء من ألوان قوس قزحية عند هطول المطر. لكن لم يخفف الطوفان من تعرضه للحياة البشرية، أو الطبيعية، ولو بشكل جزئي، فهو يمكن أن يتعرض لأشخاص، أو لبيوت، أو لقرى، أو لمدن، أو لدول، مما يجعله جزئياً وليس عاماً وشاملاً للأرض برمتها. وذلك من ألوان العقاب للناس عندما يتمادون في الطغيان والفسوق والفجور.

يقول الله تعالى ذكره:

[لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ] سورة الأعراف، الآية ٥٩

تُفْتَح الآية بمقدمات حلول الطوفان، وأن الله يرسل لأولئك القوم رسولا منهم وإليهم كي ينذروهم، لعلهم يتراجعون عما هم فيه من التمادي في العصيان قبل أن ينزل العقاب الشديد الذي كمن في الطوفان: [لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ].

كان يمكن القول [أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ]، دون [لَقَدْ]، لكنها جاءت لمزيد من التأكيد والتوثيق، ويجوز أن تكون جواب قسم محذوف، فأُنذِرهم ونصَحهم كي يتراجعوا عما هم فيه من العصيان، ولدى بعض علماء الأنساب هو: (نوح بن لامك بن متوشلخ بن أخنوخ وهو كما قيل إدريس النبي عليه السلام، ابن برد بن مهليل بن قنين بن يانش بن شِيث بن آدم عليه السلام).

[فَقَالَ] لهم: يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ، ودعوا الشرك، [مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ]، فهؤلاء كانوا يصنعون التماثيل ويعبدونها، وكانوا يطلقون عليها أسماء مثل: ود، سواع، يغوث، يعوق، نسرا. ولعلها أسماء لأناس صالحين، ولكن ما هو غير صالح أنهم باتوا يعبدون هذه التماثيل التي صنعوها، وأطلقوا عليها الأسماء نسبة إلى الصالحين: [إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ].

اليوم الذي لأحد بمقدوره أن ينجيكم [عَذَابَ] عاقبة الشرك بالله الذي [مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ].

وما تستخلصه هنا، هو ألا تعطي للناس أكثر من أحجامهم البشرية، ولا يمكن لأي مخلوق قط أن يرتقي إلى درجة أن يعبد، فالإنسان هو مخلوق يعبد الله وقد خلقه الله كي يعبد، لا أن يعبد مخلوقاً مثله، أو يصنع تمثالا، أو رمزاً لمخلوق ما ثم يعبد، وليس بالضرورة أن تنحصر العبادة في السجود أو الركوع، بل أن تأمل من هذا الرمز ما لا يجوز لك أن تأمله إلا من الله.

[قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ] سورة الأعراف، الآية ٦٠ كلمة [الْمَلَأُ]، تشير إلى الملء، بمعنى قد امتلأت الأرض بالمفسدين، والاستثناء يكون نادراً جداً، تقول فلان صرّح بقوله على الملأ، أي على الجميع. [قَالَ] له [الْمَلَأُ] المجموع [مِنْ قَوْمِهِ] كجواب على نصحه لهم: [إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ].

رفضوا حتى التفكير بقوله، كونهم اعتبروا الكلام صادراً من شخص يعيش [فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ]. بل أنهم أرادوا أن ينالوا حتى من الذين اتبعوه: [قَالُوا أَتُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ] الشعراء ١١١.

وذلك كي يسدوا الطريق على الذين يريدون الإيمان به، وهنا تجلو نزعة الاستكبار لديهم، حيث إنهم اعتبروا أنفسهم فوق الفئة التي رأوها دونهم سواء بالنفوذ، أو المال، أو ما شابه.

[قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ] سورة الأعراف، الآية ٦١

أجابهم رافعاً صفة الـ [ضَلَالَةٌ] عن نفسه: [قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ]، ومبيناً الحقيقة: [وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ].

لم يقل (أنا)، بل: [وَلَكِنِّي]، أي لم آت من تلقاء نفسي حتى تتهموني بالـ[ضلالة]، ولو كنت أتيت من تلقاء نفسي، لكان لكم أن تصفوني بذلك [وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ]. فكان يواظب على محاولات إقناعهم حتى إنهم: [قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا] هود ٣٢.

يقول لهم بأن [رَّبِّ الْعَالَمِينَ] هو الذي أرسلني من أجل إصلاحكم، ومن أجل نفعكم، وإنذاركم وأن الله سوف يعاقبكم على ما أنتم به من عصيان، ويوقفكم عند حدودكم إن رفضتم الانصياع لأمر الله، وما أنا سوى حامل هذا البيان الإلهي إليكم. [أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأُنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ] سورة الأعراف، الآية ٦٢

أوصل لكم ما كلفني به [رَبِّي] وأقدم لكم النصيح، وأذكركم أن لدي معلومات [مِنَ اللَّهِ] بشأنكم [تَعْلَمُونَ] ها، إن لبثتم في عنادكم واستهتاركم بما [أُبَلِّغُكُمْ] به من [رسالاتِ رَبِّي]. فالأرض ليست كوكباً مجهولاً لأصاحب له، يفعل الإنسان فيه ما يشاء، ويطغى ما يشاء، فعليه أن ينصاع لأوامر صاحب هذا الكوكب، وإلا فإنه يوقفه عند حده رغماً عن أنفه مهما كان نفوذه ممتدداً، ومهما امتلك من ممال وعتاد، ومهما استقوى بأعداد هائلة من رجال حوله، فإن الله يفتت كل ذلك بين ليلة وضحاها. وانظر إلى بلاغة الكلم الطيب المبطن بقوة التعبير: [وَأَعْلَمُوا بِأَنِّي أَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ]. إن نصحي لكم هو السبيل لنجاتكم مما أعلمني به الله بشأنكم.

[أَوْعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ] سورة الأعراف، الآية ٦٣

ما يزال يفعل كل ما بوسعه حتى يثنيهم عما هم عليه من التماذي في العصيان، وهذا درس بليغ نتعلمه، فعندما يستشري الفساد في مجتمع، ويكثر فيه الفجور، ويستهزئ الناس بالقرآن، وبالدعاة إلى الحق، فذلك لا يعني فشل أئمة الدعوة إلى الحق، بل يعني أن الناس طغوا إلى درجة أنهم باتوا يستهزؤون برسالات الله وأنبيائه ورسله، وكل أشكال الدعوة إلى صراط الله المستقيم.

فنوح عليه السلام، لم يقصّر في دعوته، بل نجح في الإبلاغ بما كلفه به الله عز وجل، لكنه رأى الجحود والانتهاكات الضالة من الناس، ومحمد صلى الله عليه وسلم، بلغ الناس بما تلقاه من الله سبحانه وتعالى، لكنهم أبوا ذلك، فما كان عليه سوى أن يترك أحب البقاع، والمكان الذي أنزل عليه ما يزيد عن ثلاثة أرباع الوحي فيه، وأيضاً المكان الذي فيه ذكرياته الطيبة حيث التقى فيه أم المؤمنين الأولى خديجة عليها السلام، كيف أنه كان يهرع إليها عندما كان يأتيه الوحي وهو يقول لها: "زملوني زملوني"، فخروجه بالقوة من كل ذلك الواقع الذي ترعرع في جنباته، ويعبق برائحة طفولته، وتشكلت فيه معالم شخصيته، لم يكن لأنه قصر في أداء الرسالة، بل لأن الناس استشرى فيهم وباء الطغيان وباتوا ينكرون كل ما هو حق، ويقبلون كل ما هو ضلال،

فيبقى الأمر بالتدخل الإلهي لإيقاع العقاب المباشر والصارم بحق هؤلاء، لأن الله لم يخلق الأرض ليعيث فيها المفسدون فساداً، بل لصالح الإنسان واستقامته وفضيلته، وأن يستمتع بما يُخرج الله تعالى من خيرات طيبة، ويلبث النكد لأهل النكد.

فترى البعض يكيلون الاتهامات لأهل الدعوة والصلاح، ويوصمونهم بالفشل في إيصال الحق إلى الضالين، بل يتمادى البعض أكثر فيحمل الدعاة - بكل تفرعات الدعوة من إمامة وخطابة وفقه وتفسير، وما إلى ذلك من علوم شرعية تدعو إلى الحق- مسؤولية هذا الإعراض عن دين الله. فالداعية تكمن مهمته في إبلاغ الناس ونصحهم، وتقديم الحجج والأدلة الدامغة إليهم كي يصلحوا من شأنهم ويتقوا الله.

أما إذا أصروا على عنادهم واستهزأوا، فذلك لاينال من مهمة الداعية، أو من قيمته، وعبر التاريخ البشري، فإن الله سبله في كيفية إيقاع العقاب بالضالين.

فالدعاة مصابيح الله في الأرض، والله جل جلاله يؤازرهم، عن النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي: "مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ"^١. لماذا؟ لأن هذا الذي يؤذي ولياً من أولياء الله، إنما يريد أن يُطفئ مصباحاً من مصابيح الهداية في الأرض.

[أَوْعَجِبْتُمْ]، جاءت الكلمة تعجبية واستفهامية في الوقت عينيه، من خلال همزة التعجب وواو العطف في مبتدئها: [أَوْعَجِبْتُمْ] أيها الناس [أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنْكُمْ].

فلا تعجبوا فقد [جَاءَكُمْ ذِكْرٌ] هدى [مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنْكُمْ]، وليس على مخلوق آخر لا تعرفونه من الملائكة أو الجن، فأنا أعرفكم وأنتم تعرفونني، ونحن من أصلاب بعضنا البعض.

فلا تعجبوا، فإن هذا الرجل الذي لايعجبكم هو الأقرب [لِيُنْذِرْكُمْ] من مغبة ما أنتم فيه [وَلِتَتَّقُوا] بالتوبة إلى الله [وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ] فيعفو لكم عما قد سلف. [فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَعْرَفْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ] سورة الأعراف، الآية ٦٤

جاءت الكلمة مباشرة وبلغة [فَكَذَّبُوهُ]، وهذه شهادة جلية من الله تعالى بأنه صادق، فالذي يكذب، لا يُكذَّب حتى لو كُذِّب، لأنه كاذب. لكن الذي يُكذَّب، لا بد له أن يكون صادقاً حتى يُكذَّب في صدقه [فَكَذَّبُوهُ]. تبرئة لنوح عليه السلام من تكذيبهم له، ومصادقة على صدقه. حيث كانوا يتداولون فيما بينهم: [مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ] المؤمنون ٢٤.

عندما أبلغهم بكل ما أرسله الله به [قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا* فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا* وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ

^١ صحيح البخاري

وَاسْتَعِشُوا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَاراً* ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَاراً* ثُمَّ إِنِّي
أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَاراً[نوح ٥- ٨].

[فَأَنْجَيْنَاهُ]، استخلصه الله تعالى [و] استخلص [مَعَهُ] المؤمنين [الَّذِينَ] آمنوا
وآزره، وهم قَلَّةٌ، وأنجاهم بأن جعلهم [فِي الْفُلْكِ] السفينة.

لكن هذا الطوفان العام حصل بعد تسعة قرون ونصف من الدعوة المستمرة،
[وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَاماً]العنكبوت ١٤.

وحصيلة كل هذه القرون من الدعوة لم تنتج سوى عن نحو ثمانين شخصاً بين
رجل وامرأة من كافة سكان الأرض، وهم من الطبقة الفقيرة. حتى إن الوجهاء كانوا
يشتربون عليه أن يطرد هؤلاء حتى يأتوا إليه، وكان يرفض هذا المطلب، وبعد كل
هذا الجهد الدؤوب وهذه القرون الطويلة من الدعوة، وهذه النتيجة القليلة من المؤمنين،
جاء أمر الله إلى نوح عليه السلام بأن يصنع سفينة كبيرة ويستعد لوقوع العقاب على
القوم، ونجاته مع مَنْ آمنوا من خلال دخولهم إلى السفينة. ثم أن يجمع من أشكال الحياة
من حيوان ونبات زوجين، وبذلك فإن السفينة لابد لها أن تكون ضخمة حتى تستوعب
كل ذلك، فبالإضافة إلى المؤمنين الذين معه، هناك بعض أنواع الحيوانات تكون
ضخمة مثل الفيلة، أو الإبل، أو البقر، أو ما شابه، كما أن وجود كل هذه الحيوانات في
مكان واحد يشكل خطراً عليها، فبعضها مفترسة، وبعضها ودبة، فلا بد من صناعة
أقفاص لتحمي بعضها من بعض سواء الحيوانات الصغيرة، أو الكبيرة، كما أن هذه
السفينة تحتاج إلى واقية حتى تقي نزول المطر على مَنْ بداخلها، وما إلى ذلك من
عوامل الاستعدادات.

لكن وبدل أن يتعظ القوم من ذلك وهم يرونه منهمكاً في عمله هذا، وكان
بإمكانهم أن يتوبوا حتى اللحظات الأخيرة، قالوا: [إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ
جَنَّةٌ]المؤمنون ٢٥.

ويتداولون فيما بينهم على سبيل الاستهزاء إن كان نبياً، أو نجاراً، وأنه يقوم
بصناعة سفينة ضخمة في موضع لا نهر فيه، وكانت زوجته واسمها (واهلة) تقول بأنه
مجنون، وهذا العمل يستغرق وقتاً طويلاً وجهداً كبيراً. قيل: (كان الرجل من الكفار
يحمل ولده إلى نوح عليه السلام فيريه إيّاه ويقول: يا بني لا يفتننك

هذا الشيخ المجنون عن دينك ودين آبائك، فلما ضاق ذرعاً دعا على قومه: [رَبِّ لَا
تَذَرْ عَلَيَّ الْأَرْضَ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً]نوح ٢٦، فاستجاب الله دعاءه وأمره بغرس شجر
الساج، فعلم نوح عليه السلام أن في الأمر مهلة، فأمر بغرس الأشجار عشر سنين،
وأدركت القطع بعد أربعين سنة، ثم أمر الله بقطعها وأخذ السفينة منها، وألهمه كيفية
فعل السفينة على خلفة البط، وجعل لها رأساً كرأس الديك، وذنباً كذنب
الطاووس، وصيرها أربعة أطباق، طبقاً له ولأصحابه، وطبقاً للبهائم والوحوش،
وطبقاً للسباع، وطبقاً كالسقف لئلا يصل المطر إليهم من نحو السماء، وقيرها داخلاً
وخارجاً، وسدها بالمسامير، وكان طولها ثلاث مئة ذراع، وعرضها خمسين، وسمكها

ثلاثين، وفرغ من ذلك فبينا ابنته تختبز إذ فار التّور بالماء وفجّرت الأرض عيوناً فبادرت إلى أبيها تخبره، فنادى نوح في أصحابه فاجتمعوا إليه ودخلوا السفينة، وحشر الله إليه حيوان الأرض فأخذ من كل جنس زوجين، فكانت أبواب السماء مفتحة بماء منهمر والأرض متفجرة بالماء أربعين يوماً، [وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ] هود ٤٤.

إذن عندما انتهى كل شيء، [وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا] هود ٤١ ، [و] ركب الجميع في السفينة: [أَعْرِفْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا]، فقد أغرقهم الله بسيل الطوفان، بمن فيهم زوجته وأحد أبنائه. فهؤلاء جميعاً الذين تعرضوا للغرق: [كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا]. ونظير ذلك يكون بأن من أنجيناهم: آمنوا [بِآيَاتِنَا].

وهذا يعني أن كل جبال الأرض مهما بلغ ارتفاعها، فإنها قد تعرّضت للفيضان الذي غمرها، حيث تحوّلت الأرض كلها إلى مساحة سوية من الماء، ولا شيء يظهر فوق الماء باستثناء سفينة نوح. لكن التكاثر البشري اقتصر على ذرية نوح عليه السلام، وذلك من أبنائه الثلاثة سام، وحام، ويافت [وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ] الصافات ٧٧.

يقول ابن عباس رضي الله عنهما: (لما خرج نوح من السفينة مات من معه من الرجال والنساء إلا ولده ونساءه). أما أشكال الحياة الأخرى، فقد تكاثرت أيضاً ممّا كان في السفينة [قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ] هود ٤٠.

يقول وهب بن منبه: (سام هو أبو العرب وفارس والروم وأهل الشام وأهل اليمن، وكان هو القيم بعد نوح في الأرض، ومن ولده الأنبياء كلهم، عربهم وعجمهم، وجعل الله في ذريته النبوة والكتاب، وهو الذي اختط مدينة القدس، وأسس المسجد الأقصى، وكان ملكاً عليها، وحام أبو السودان وأهل الهند والسند والزنج والحبشة والنبوة وكلّ جلد أسود، ويافت أبو الترك وياجوج وماجوج والفرنج).

فبعد كل ذلك الكلام الطيب، وذاك الإنذار المبين، والمقابلة بالتكذيب والاستهزاء، كان تدخل الله سبحانه وتعالى، [إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ]. فقد أعماهم الاستكبار عن رؤية الحق والإيمان به. وهذا درس نتعلّمه، وهو ألاّ نتخذ مواقف مسبقة من الآخرين قبل أن نصغي إليهم بشكل دقيق وجيد، وأن نؤمن بما ينفعننا، ونتجاهل عمّا لا ينفعننا. فليس المهم أن نسمع الحق، بل المهم أنك تأخذه وتتفع به، وليست ثمة معضلة أن نسمع شخصاً يقول الباطل، المهم أن باطله لا يجد سبيلاً للتأثير عليك، بل تكون أكثر ثباتاً وعزيمة على الحق الذي أنت فيه، فإن قوّة الإيمان تقويك على الباطل وتجعله ضعيفاً أمامك، وضعف الإيمان يضعفك أمام الباطل، ويجعله قوياً عليك، وقد اختتمت الآية بكلمة بالغة الدلالة [عَمِينَ]. وهذا ليس عمى العينين، لأنهم كانوا يرون بأعينهم، بل هو عمى القلب، لأن القلب لا يخشع بما ترى العينان من آيات الله في الأرض وفي الناس.

الإنذار البائن

يقول الله عز وجل:

[وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ] سورة هود، الآية ٢٥

[وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ]. فقد اعتُبر جميع سُكَّانِ الأرض من [قَوْمِهِ]. والعمر المديد الذي عاشه نوح عليه السَّلام نحو تسعمائة سنة كان كافياً للانتشار إلى جميع مَنْ كانوا على الأرض. وبالطبع فنحن مع نوح عليه السَّلام ما نزال في مرحلة بدايات الإنسان، وقد جاء بعد آدم عليه السَّلام. أي لم تكن هناك كثافة سُكانية كما الآن بمليارات البشر. فالآية الكريمة تُعيدنا إلى تلك الوقائع كي يندكرها الإنسان إذا استشرى الفساد في الأرض. وقد اختُصَّت المَحاوِر الثلاثة السابقة بالتذكير، فكانت قفلة الآية السابقة: [أَفَلَا تَذَكَّرُونَ].

والآن، تذكروا: [وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ]. وهذا الكلام في كتاب الله تعالى يبقى مفتوحاً لأبناء كل زمانٍ ومكان. فمهما كانت أعداد البشر، ومهما بلغوا من القوة والتمكين في الأرض، فإن الله قادرٌ أن يَسحقهم جميعاً، ولا يُنجي إلا الصَّالحين، حتى لو كانوا بضعة أشخاص فقط من كل هذه المليارات البشرية. وإذا كان قد أغرق أولئك الناس بالطوفان وبالطبع كانت أعدادهم محدودة قياساً بأعداد البشر الآن، فإنه قادرٌ أن يسحق كل هذه المليارات ليس بالطوفان، بل بما هو أصغر من قطرة ماء واحدة من ذاك الطوفان. وها قد رأينا كيف أن فيروساً صغيراً، أصغر من أن يرى استطاع أن يحجر على البشرية جمعاء، رغم امتلاكها لكل هذه الترسانات من الأسلحة الفتَّاكة، وكل هذه الجيوش المُتدربة بشكلٍ دقيقٍ لمواجهة المخاطر. وهذا التقدُّم العلمي فقد ترك الجميع كل شيء ولاذوا ببيوتهم وهم يرتجفون دُعراً خشية أن يلحقهم هذا الفيروس الصغير الذي يُسمى (كورونا). وقد أغلقت الأسواق، والمطارات، بل وحتى دور العبادة في حظر عام شمل الكرة الأرضية برمتها، وقد أصبحت الكرة الأرضية بما فيها في قبضة هذا الفيروس الذي هو أصغر من أن يرى بالعين المُجرَّدة. فقد كان الطوفان عالمياً شمل الكرة الأرضية كلها، وكذلك هذا الفيروس عالميٌّ شمل الكرة الأرضية كلها، وهو يُهدِّد البشرية كلها بالفناء.

فإذن، لا يَنغَرِ الإنسان بأمواله، وحضارته، وقوته، وأسلحته، وأعداده، فهو في الحقيقة أضعف من أن يواجه فيروساً صغيراً إذا سلَّط عليه.

فللتذكرة أيُّها الإنسان: [وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ] الذين فسدوا وطغوا في الأرض، واستشرى فيهم الفساد والطَّغيان. أرسلناه ليبين لهم بأن الله لم يخلق الإنسان للفساد، بل للصَّلاح، فقال: [إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ]. أرسلني الله لأُنذركم من مغبة ما أنتم به من كفر.

[مُبينٌ]. هذا ليس كلاماً فحسب، بل لدي بيِّنات من الله تثبت لكم بأنني رسوله إليكم. فالرَّسول لا يُنذر فقط، بل يبيِّن، ويأتيه الله تعالى ذكره بالبراهين البيِّنة للناس، وبذلك لا تبقى لهم حجة للاستمرار في الكفر. فقد بات كل شيء بيِّناً، ويوجد [نَذِيرٌ مُّبِينٌ] منهم. فالكُفر هنا يكون عناداً واستكباراً.

نَجَاةُ الْعِبَادَةِ

[أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ] سورة هود، الآية ٢٦
فقد ترك الناس بعد آدم عليه السلام، عبادة الله عز وجل، وغدوا يعبدون آلهة وأوثاناً وقد سادت الوثنية فيهم. لذلك: [وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ].
والآن: [أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ]. دعوا ما تعبدون من دون الله، واعبدوا الله: [إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ]. الخوف على شخص ما، ينبع من مقدار الجرص على سلامة ذاك الشخص، وعدم تعرضه للعذاب. والخوف عليه، هو حب له، فشخص لا تحبه لا تخاف عليه إذا رأيت يودي بنفسه إلى المهالك.

فإذا أصررتم على عبادة ما دون الله: [إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ]. فهناك عقاب يلقاه الذين يخرجون عن عبادة الله الذي خلقهم ليؤمنوا به ويعبدوه، وإذا أذنبوا، يستغفرونه. وكما أن يوم القيامة يكون بالنسبة للمؤمنين نعيماً لأنهم يدخلون الجنة، فإنه يكون للكافرين أليماً، لأنهم يدخلون النار.

[إِنِّي]. أي أنا منكم وأنتم مني، أنا ابن جلدتكم، وأنتم أبناء جلدتي، لذلك: [أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ].

حَجَجُ الْمُكْذِبِينَ

[فَقَالَ أَمْلَأِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَأَيْنَا بُادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ] سورة هود، الآية ٢٧
هذا هو معدن الإنسان المتعجرف الذي تقول له بأنك خائف عليه من مغبة المضى في مسلك الاعوجاج، وتدعوه إلى الاستقامة حرصاً عليه، بيد أنه يستهزئ بك استكباراً ويصّر على اعوجاجه. [إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ* وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ] ٢٩، ٣٠. فهذا هو العناد الذي ينسم به بعض الناس، وهم يتوارثون هذا العناد عن بعضهم البعض. لكن الذي ليس به عناد، حتى لو كان كافراً، فإنه لا يستهزئ، بل يستمع ويتحاور حتى تراه شيئاً فشيئاً يؤمن بوحانية الله، وأن القرآن كتاب حق من عند الله.

ثم تراه بعد فترة يترك الكفر ويدخل الإسلام، وأحياناً يصبح داعية في مجتمعه للإسلام كما حصل بالنسبة للكثيرين من أبناء دول غير إسلامية، ومنهم مشاهير في مجالات شتى. فالطامة تكمن في الاستكبار والعناد، وليس في الإيمان فقط، بل في كل شيء. فالمرأة المستكبرة والعنيدة، تفشل حتى في زواجها وأومتها، والرجل المستكبر العنيد يفشل حتى في زواجه وأبوتة.

فهنا تشير الآية الكريمة إلى عقدة التّعالي عند بعض الناس. وهنا تنقسم هذه العقدة إلى قسمين. قسم يميل إلى ممارسة التّعالي، ويريد أن يكون مُتعالياً، وقسم آخر يميل ممارسة التّعالي عليه، فيريد أن يكون مُتعالى عليه، ودوماً يريد أن يصنع هذا

الشخص الذي يمكن له أن يتعالى عليه، فيمارس عليه التَّعالي، وهو يخضع ويستجيب. والقسم الثاني لا يُقدَّر الشخص غير المُتعالى مهما كان فاضلاً وطيباً، ويُقدَّر الشخص المُتعالى مهما كان سيئاً وخبيثاً. فيشترك القسمان في تبجيل الشخص المُتعالى، والاستهزاء بالشخص غير المُتعالى.

على هذه الأرضية المُتعالية في قسميها: [فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ]. [الْمَلَأُ] إشارة إلى الامتلاء. فـ [الَّذِينَ كَفَرُوا] كانوا هم [الْمَلَأُ]. أي الأكثرية السَّاجدة كما لو أنك تقول بنسبة ٩٩%. من جميع مَنْ كانوا في الأرض قاطبةً. فلم يبق إلا القليل جداً ولعلهم كانوا نحو ٨٠ شخصاً بين رجالٍ ونساء. وهم الذين أصبحوا في سفينة النجاة مع نوح عليه السلام، عندما وقع الطوفان الأكبر، وهو الطوفان الأول من نوعه بهذه العمومية والشمولية بحيث عمَّ الناس جميعاً، وعمَّ الأرض كاملةً.

فالعقاب العام يكون عندما يُصبح الفسادُ مستشرياً وعماماً، ولذلك بعد الطوفان الأكبر لم يعد الفساد عامّاً في الأرض قاطبةً، وغدا الناسُ في صلاح، لكن بقي الفساد سواء عند الأفراد، أو عند الجماعات، أو حتى عند بعض الأقوام. وهنا باتَ العقاب يستهدف الرُّقعة التي يكون فيها الفاسدون، عندما يعمُّ الفسادُ في تلك الرُّقعة، دون أن يمتدَّ إلى رُّقعة أخرى حتى لو كانت مجاورة لها، أو حتى ملاصقة بها. وقد ذكر القرآن بعض الأقوام التي لَقَّت العقاب العام، وأنجى الله فيها الصَّالحين، والعقاب العام الذي أصاب قوم لوط، لم يكن هناك من الناجين سوى قلة قليلة جداً: [فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ* فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ] الذاريات ٣٥، ٣٦. وقد اقتصر العقابُ على البُقعة التي كان يعيش فيها والتي تُعرف بـ (سادوم). وكان في نفس الوقت إبراهيم عليه السلام يعيش في منطقة أخرى، وقد ذهب لوط وابنته إليه، ولوط هو ابن أخي إبراهيم عليهما السلام.

والله سبحانه وتعالى يُمهّل الفاسدين الامهال تلو الامهال، ولا يُوقع العقاب سواء على الأفراد أو على الجماعات إلا بعد أن يستفحل فيهم الفساد حتى النُخاع، وهم يُصروا عليه بعنادٍ شديد حتى يُصبح الفسادُ عامّاً، ويُصبح الصلاحُ استثناءً. هنا يأتي العقاب بعد كل فُرص الامهال تلك، ويُنجي الله عز وجل الصَّالحين بسببِ شئى. وإن كان ذلك على مستوى الجماعات، أو الأقوام، أو الدول، أو المُدن، فإنه يكون أيضاً بموازاة ذلك على مستوى الأفراد. فيمكن لشخص أن ينحرف في موقف ما، أو في نقطة ضعف ما، ولكنه سرعان ما يندم ويتوب، ولا يكون مُصرّاً على الانحراف. ولعل ذلك يتكرر، لكن تبقى نسبة الصَّلاح كبيرة جداً لديه، إلى جانب بعض الذنوب التي ارتكبها وندم عليها، بل كان يُدين نفسه فيها بعد أن يرتكبها ويعزم على عدم العودة إليها، لكن لم تكن حياته خالية من الذنوب: [وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَهُ لَا يَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ] النور ١٣٥. فالإصرار هو عدم الاعتراف بالذنب على أنه ذنب، وبالتالي عدم الندم على ارتكابه والاستمرار

فيه، في حين أن الندم هو اعتراف بالذنب على أنه ذنب، وبالتالي الندم على ارتكابه، وعدم الإصرار عليه:

[وَأَخْرَوْا اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ] التوبة ١٠٢. ولذلك يدخل الناس الجنة رغم وجود سيئات في ميزان حسابهم، لكن كفة الحسنات تكون راجحة عليها، فيغفر الله تلك السيئات كما لو أنها لم تكن. وهذا لا يكون في الآخرة فحسب، بل في الدنيا أيضاً، لأنه معلوم بأن الإنسان العاصي يُلقي العقاب في الدنيا أيضاً إذا كان مُصرّاً على العصيان، لكن التائب يُستثنى من ذلك.

إنّ، تضعنا الآية الكريمة في قلب الواقع الاجتماعي قبل الذي كان عليه الناس قبل حصول الطوفان العام، وقد أرسل الله النبي نوح فقال لهم: [إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ]. في الآية ما قبل السابقة. ومن كثر استفحال الفساد في ظهرائهم حتى النخاع: [فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا تَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا] وهذه أول إشارة لرفضهم القاطع لكل ما يقول، وبناءً على هذا الموقف السلبي الحاسم، استأنفوا قولهم لنبيهم وقد تبادوا عليه: [وَمَا تَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا أَنْ يُكْفِرُوا بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ] بمعنى: لم يتبعك أحدٌ من السادة أو الأشراف، أو الوجهاء، أو الأغنياء.

[وَمَا تَرَاكَ] استخدموا النظر، أي فقد رفضك الجميع على أرض الواقع وهو ينظرون إليك. [وَمَا] نرى أحداً منا [اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا أَنْ يُكْفِرُوا بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ] دروايشنا، وبسطاؤنا. [بَادِيَ الرَّأْيِ]. أي بشكل مندفع ومتسرّع في مبتدأ سماعهم بدعوتك، وما ذلك إلا لأنهم دروايش وبسطاء، ولا قيمة اجتماعية لهم. فمن بيننا جميعاً لم يتبعك [إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا أَنْ يُكْفِرُوا بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ] وقد اندفعوا إليك بشكل متسرّع دون أن يفكروا جيداً. و [أَرَادُوا أَنْ يُكْفِرُوا بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ] بمعنى: أداننا قيمة اجتماعية، وهم لا يُقدّمون ولا يؤخّرون شيئاً. فنحن إن استجبنا لك واتبعناك، ساوينا أنفسنا بهم، وساويناهم بنا.

هذه هي عقلية الإنسان المُستكبر، فهو بكل ما فيه يكون استكباراً في استكبار، وينظر نظرات استصغار ودونية إلى الآخرين الذين يهدهم الله إلى الصراط المستقيم. عن النبي صلى الله عليه وسلم: "كانوا حاكّة وحجّامين".

فالحقيقة أن هؤلاء الذين آمنوا على الفور فهذا يرفع من شأنهم، ويشير إلى مقدار ذكائهم وحكمتهم، حيث تبيّن لهم الحق فاتبعوه دون تردد، لأن اليقين استقرّ في قلوبهم، وعلموا بأنهم كانوا في ضلال، وأن نوحاً عليه السلام يدعوهم إلى الهداية.

فهؤلاء هم أرفعهم شأنًا، وكم من هؤلاء يعيشون في سائر المُجتمعات في كل زمانٍ ومكان. فينظر البعض إليهم نظرات استصغار، أو دونية، ولكنهم رقيقو الشأن عند الله سبحانه وتعالى، بل أن كثيراً من الخيرات التي تأتي للمجتمع يكون كرامته لهؤلاء، كما أن صرف كثير من العقاب عن المجتمع يكون كرامته لوجود هؤلاء في ظرائفه. [وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ].

[وَمَا نَرَى] بأعيننا على أرض الواقع [لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ]. فلا يوجد لديكم شيء هو أفضل من الذي لدينا، لا مالاً ولا جاهاً، ولا نفوذاً. فلو كنتم أفضل منا على أرض الواقع، لنظرنا في الأمر، لكن: [وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ]. وبالتالي: [بَلْ نُنَبِّئُكُمْ كَاذِبِينَ]. تكذبون علينا حتى تستحوذوا على وجاهتنا وأموالنا، وتجعلوا لأنفسكم قيمة اجتماعية بيننا.

وبذلك فإن الذين [هُمْ أَرَادْنَاهُ] الآن، سيصبحون سادتنا وأشرافنا. ولذلك لم يترددوا وأتبعوك [بِإِدْيِ الرَّأْيِ]. كما لو أنهم لم يصدقوا أنك دعوتهم، فاندفعوا إليك اندفاعاً بشكل تلقائي متسرع.

إذن: تظهر الآية الكريمة هذه النزعة الدونية في كينونة الإنسان المستكبر، فالأفضل إنسانية بالنسبة لهؤلاء هو الأكثر سيادة، أو وجاهة، أو مالاً حتى لو كان بلا دين. بينما الإنسان المتواضع حتى لو كان سيّداً، فإنه يدرك بأن الإنسان يكون فاضلاً بإيمانه. وبذلك يروى أنه عندما قيل للنجاشي عن المسلمين، سأل: أشراف الناس أتبعوهم أم ضعفاؤهم؟ فقيل له: ضعفاؤهم. فقال: هؤلاء هم أتباع الرسل قبل. فهناك قالوا عن المؤمنين: [أَرَادْنَاهُ]. وهنا قال عنهم: أتباع الرسل. عن النبي صلى الله عليه وسلم: "إن بالحشمة ملكاً لا يُظلم عنده أحد، فلو خرجتم إليه حتى يجعل الله لكم فرجاً".

فالتواضع، هو أقرب طريق للعدل، والاستكبار هو أقرب طريق للظلم.

تبعات التعالي

[قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَأَتَانِي رَحْمَةٌ مِنْ عِنْدِهِ فَعَمِيَتْ عَلَيْكُمْ أُنْزِلُكُمْ مَوْهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ] سورة هود، الآية ٢٨

هذه هي المبادئ الأساسية في الدعوة إلى الله: [أَنْزِلُكُمْ مَوْهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ]. أي: لن [نُلْزِمُكُمْ مَوْهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ]. بل نكتفي بدعوتكم إلى الهداية.

فجواباً على ما قاله: [الْمَلَأَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ] في الآية السابقة، الآن: [قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ]. فقد ذكروا النظر ثلاث مرات في الآية السابقة، في الأولى: [مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا]. ومرة: [وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِإِدْيِ الرَّأْيِ]. ومرة: [وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ]. فيجيبهم بذات الكلمة: [أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي]. البيّنة تُرى وتُحسّ بذات الوقت، وهي بُرْهان النبوة. فكان سيدنا نوح عليه السلام يُقدّم لقومه براهين نبوته ك [بَيِّنَةٍ] ملموسة، تُرى وتُحسّ.

وبعد هذه الثبوتيات، يستأنف جوابه لهم: [وَأَتَانِي رَحْمَةٌ مِنْ عِنْدِهِ]. الرحمة في هذا السياق يجوز أن تكون بمعنى الهداية، أي: [وَأَتَانِي رَحْمَةً] بي وبكم، وهي هداية لي ولكم [مِنْ عِنْدِهِ]. فالهداية الإلهية في حقيقتها هي رحمة الله بعباده، لأنها تُبين لهم الرشد من الغي، وتُخرجهم من الظلمات إلى النور، من الاعوجاج إلى الاستقامة، من الظلم إلى العدل، من اضطرابات الكفر، إلى سكينة الإيمان. فتتحسّن حياتهم أكثر كلما اهتدوا بهداية

الله أكثر، كلما تفاعلوا مع تشريع الله أكثر. فهذه رحمة خالصة من عند الله، وهي محبة الله تبارك وتعالى للإنسان.

[فَعَمِيَتْ عَلَيْكُمْ]. هنا يجوز أن تكون البيّنة والرحمة اجتمعتا في [فَعَمِيَتْ عَلَيْكُمْ]. وبذلك يكون المعنى: فتعاميتكم عن النظر إلى هذه البيّنة بأبصاركم، كما تعاميتكم عن النظر إلى هذه الرحمة ببصائركم. فالذي يتعامى عن شيء، مع المداومة يُصبح التعامي طبيعياً لديه، فوجود الشيء بالنسبة إليه وعدم وجوده سيان رغم أنه ينظر إليه ويراه، لأنه ليس أعمى، بل يتعامى. فيكون مثله مثل الذي لم ير ذاك الشيء: [لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ] الأعراف ١٧٩. ولذلك عندما يرتكب الإنسان موبقة لأول مرة، يكون مُتردداً ووجلاً، ولكنه مع التكرار يعتاد عليها، ولم يعد يتحرك فيه التردد أو الوجل، أو حتى الحياء. عن أبي مسعود البدرى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ: إِذَا لَمْ تَسْتَحْ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ"^٢. وليس المعنى ليفعل ما شاء، بل بمعنى: إن لم يستح الإنسان، سيفعل ما يشاء. لأن الحياء هو أساس العفاف، الحياء من الله، ومن رسوله، ومن النفس، من الأهل، من المجتمع. والحياء من الله هو أساس الحياء، ومنه يتفرّع كل حياء. وعنه صلى الله عليه وسلم: "الإيمان بضغ وسبعون شعباً، والحياء شعباً من الإيمان".

إذن، البيّنة منظورة، والرحمة محسوسة، والبيّنة تؤكد الرحمة. والنبي ذاته هو، وهو رحمة من الله بالإنسان، لأنه يأتي من الله بما يُحسن للإنسان حياته، وما يجعله في الآخرة يتجنب النار، ويدخل الجنة. بل حتى وجود العلم المُتمكّن من العلم بدرجات متقدّمة، هو بيّنة ورحمة من الله. [شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَانِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ] آل عمران ١٨.

[وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا] آل عمران ٧.

[وَلْيَعْلَمِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ] الحج ٥.

[إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ] فاطر ٢٨.

[يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ] المجادلة ١١.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ اللَّهَ يَنْعِثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدْ لَهَا دِينَهَا"^٣. وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: (سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَبْتَغِي فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضَاءً لِطَالِبِ الْعِلْمِ وَإِنَّ الْعَالَمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ حَتَّى الْخِثَّانُ فِي الْمَاءِ وَفَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى

^٢ صحيح البخاري

^٣ رواه أبو داود

الْعَابِدِ كَفَّضِلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَكِبِ إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوْرَثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا إِنَّمَا وَرَثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحِطِّ وَافِرٍ^٤ .
[أَنْزَلْنَاهُمْ وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ]. فنحن ندعوكم إلى بيّنة الله وإلى رحمته [وَأَنْتُمْ لَهَا] مُحِبُّونَ، فالإلزام، هو استجابة بإكراه، وعدم الإلزام هو استجابة بحب. والحب هو أساس الاستجابة، وأساس الإيمان. فكيف نُجبركم على حب الله، وحتى لو أجبرناكم، فإننا لن نفلح في ذلك، وأيضاً سنكون قد خرجنا عن أمر ربنا بعد الإلزام، والاكتفاء بالبلاغ.

ما يُمكن استخلاصه من الآية الكريمة، هو أنك عندما تُصمّم على الاعوجاج وتصرّ عليه، فإن الله عز وجل يدعك في اعوجاجك، ولا يُكره عليك الاستقامة. ولكن في أي وقتٍ يمكن لك أن تتراجع وتعود إلى ربك.

آفة الجهل

[وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ] سورة هود، الآية ٢٩
[وَيَا قَوْمِ]. استئنافاً لجوابه وشرحه المُفَصَّل لقومه: [وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ]. [لا] أطلب منكم [عليه] على ما أدعوكم إليه من الحق [مالاً] كي أغتني به.
[إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ]. فقد أرسلني الله لهدايتكم، وهو الذي يُثبيني.
[وَ]استناداً إلى ذلك: [مَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا]. فهؤلاء الذين آمنوا وتصفونهم: [أَرَادْنَا]. لا أطردهم حتى لو آمنتم جميعاً بطردي لهم. فلا وجهة ولا غنى في الإيمان، ومن يَتَّقِ الله أكثر، يرتقي عند الله أكثر. فهؤلاء أولياء الله، ولن أطردهم مهما طلبتم مني ذلك.

الطرد هنا بمعنى الإبعاد. ويُروى أنهم قالوا: (يا نوح إن أحببت أن ننبعك فاطردهم هؤلاء الأراذل، وإلا فلن نرضى أن نكون نحن وهؤلاء في الأمر سواء). وقد حصل ذلك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضاً عندما طلب منه المشركون طرد المؤمنين كونهم فقراء، فكان أمر الله سبحانه وتعالى: [وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ] الأنعام ٥٢.

فهذه نزعة الاستكبار التي يتسم بها الإنسان غير المؤمن، فهو لا يُقيم للإيمان وزناً، بل أنه يُقيم الناس بحسب غناهم ونفوذهم.
إذن: [وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ]. فهؤلاء الذين آمنوا يلاقون [رَبَّهُمْ] وهم مؤمنون به، صالحون في أعمالهم، مستقيمون في حياتهم. و يظهر بأنهم اتهموهم بادعاء الإيمان، ولذلك بيّن نوح عليه السلام: [إِنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ].

ثم استأنف قوله لهم: [وَلَكِنِّي أَرَأَيْتُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ تَجْهَلُونَ]. تُصِرُّونَ عَلَى التَّمَسُّكِ بِعَقِيدَتِكُمُ الْجَاهِلِيَّةِ.

التذكّر

[وَيَا قَوْمٍ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ] سورة هود، الآية ٣٠
ما يزال الجواب مستمراً بتفاصيله: [وَيَا قَوْمٍ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ].
بيان بأنهم أصرّوا على طلبهم بطرد الذين آمنوا وإبعادهم عنه، وكذلك بيان توضيحي
عن عدم الاستجابة. فإن استجبت لكم بطردهم: [مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ]. [مَنْ] منكم قادر
أن يعصمني من عقاب الله وقد خالفتم أمره، فأنا أدعوكم إلى تجنب عقاب الله من خلال
الهداية، وأنتم تدعونني إلى التعرّض لعقاب الله من خلال الضلال. ولذلك جاءت خاتمة
الآية: [أَفَلَا تَذَكَّرُونَ]. هنا تم إدغام التاء الثانية بالذال، كما لو أن الأمر لا يحتاج إلى كثير
من تفكير. وهو سؤال وبذات الوقت جواب. ف: [أَفَلَا تَذَكَّرُونَ]. كسؤال تعجبي. و: [أَفَلَا
تَذَكَّرُونَ]. أي تذكروا بأن لا أحد يمكن له أن يعصمني من الله. كجواب. وهذا شبيه بما
جاء في الآية ٢٤: [مِثْلَ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا
أَفَلَا تَذَكَّرُونَ]. والكلمة من التذكّر، والمعنى أن الجواب كامن في الذاكرة، لأن الإنسان
يولد على فطرة الإيمان، وليس على فطرة الكفر، فكل إنسان يولد مؤمناً، والكفر هو
عامل خارجي مكتسب يتم إقامته على الفطرة:
[وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ] البقرة ٢٢١.
[تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِأَذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ] إبراهيم ٢٥.
[أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ] النحل ١٧.
[وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ] القصص ٥١.
[وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ] الزمر ٢٧.
والإكثار من ذكر الله سبحانه وتعالى، يُعزّز التذكّر:
[إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ] الأعراف ٢٠١.
فإذن من المؤكّد لا أحد يمكن أن ينصرني غير الله، لذلك: [مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ
طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ].

حقائق الأنفس

[وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبُ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ
تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ]
سورة هود، الآية ٣١

الآن بعد أن قدّم لهم شروحاتٍ عن جوهر الدعوة إلى الحق في الآيات الثلاث
السابقة، يبيّن لهم علاقته كني مع الله عز وجل.

ثم يُبين مفاهيم الخاطئة عن الإنسان النبي، ويصححها لهم. ويظهر أنهم كانوا يعتقدون أن نبي الله يملك حرية التصرف بأن يغني نفسه، ويغني من يشاء. فقال عليه السلام: [وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ]. جواباً على قولهم: [وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ]. الخزائن، جمع خزينة، والخزن هو الحفظ: [وَأِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ] الحجر ٢١.

فلا شيء قط لا تكون [خَزَائِنُهُ] عند الله، وهي خزائن الله سبحانه وتعالى: [وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ] المنافقون ٧.

إذن، فنبوتي لا تعني أن [عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ]. كي أغني بها من أريد، أو أغني نفسي. [وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبِ]. جواباً على قولهم: [وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا أَنْ يُجَادِلُوا] فلا توجد لدي إمكانيات كي أستطلع ما في قلوبهم لأعرف إن كانوا يُظهرون الإيمان لغايات دنيوية، ويُبطنون الكُفر، كما توصمونهم. فَمَنْ يَقُولُونَ عَنْهُمْ: [أَرَادُوا أَنْ يُجَادِلُوا]. هم بالنسبة لنا: أولياء الله. [وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ]. من الملائكة جنّت على شكل بشر، بل أنا بشر ابن بشر، حفيد بشر. وقد أصبتم في ذلك عندما قلتم: [مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا]. نعم أنا بشر مثلكم، ولست ملكاً من الملائكة.

[وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا]. جواباً على قولهم: [بَادِيَ الرَّأْيِ]. و [تَزْدَرِي] بمعنى: تنتقص وتستصغر. لذلك قالوا: [بَادِيَ الرَّأْيِ]. أي لا رأي لهؤلاء وهم فقط يظهرون الإيمان، لكن المترسخ في قلوبهم هو الكُفر.

ويظهر من الآية الكريمة بأنهم طلبوا من نوح عليه السلام أن يُخبرهم بأن هذا التسرع لن ينفعهم حتى ينصرفوا عنه. فكان جوابه حاسماً: [وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا]. الخبر هنا هو العز والرخاء في الدنيا وفي الآخرة. [وَلَا أَقُولُ] كون: [اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ]. ولا علم لي [بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ]. فكيف أقول شيئاً لا علم لي به. [إِنِّي إِذَا] فيما لو قلت [لِمَنِ الظَّالِمِينَ]. أكون قد جعلت من نفسي أحد [الظَّالِمِينَ]. وليس أحد العادلين.

يتبين في هذه المناظرة كيف أنهم يُطالبوه بأن يخرج عن واقعيته البشرية، وهو عليه السلام يتجاوز مع ما يقوله بشرح جميل وسعة صدر، ويسعى ما أمكنه أن يُقنعهم بكلمات واقعية.

ديدن الفاسدين

[قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ] سورة هود، الآية ٣٢

الجدال هو حوار تناظري، ونقاش من أجل بيان الصواب من الخطأ، والوصول إلى الحقيقة. والجدل بمعنى القتل، والمرأة تجدل شعرها عندما تفتله على بعضه البعض، فتكون بذلك جمعت المفرق في جديلة. كذلك الأمر بالنسبة للحبل، فيكون مجدولاً عندما يكون مفتولاً على بعضه البعض.

ويبدأ الجدال من المبادرة، والشخص الذي يُبادر بالذهاب إلى الطرف الآخر، يكون هو المُجادِل كونه القائم ببادرة المُجادلة، وعندما يستجيب الطرف الآخر، فيتحوّل الجدال إلى حوار.

وفي القرآن الكريم سورة باسم (المُجادلة). يقول الله تعالى شأنه في الآية الأولى منها: [قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ] المُجادلة ١. هنا بيان بأن المرأة بادرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجادلته، فاستجاب لها رسول الله صلى الله عليه وسلم وبدأ الحوار بينهما حول الخلاف الذي وقع بينهما وبين [زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ]. فالمرأة هي المُجادلة في سورة (المُجادلة). [وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا] وليس تجادلكما. بيان بأن النبي صلى الله عليه وسلم قد تجاوب معها، وبذلك فقد تحوّل الجدال إلى حوار. والمرأة كما يُروى هي خولة بنت ثعلبة، وزوجها هو أوس بن الصامت، أخو عبادة بن الصامت. وكان قد قال لها: (أنت علي كظهر أمي). فقالت: والله لقد تكلمت بكلام عظيم، ما أدري مبلغه. وخرج أوس من البيت بعض الوقت، ثم عاد وهو يحاول أن يتقرب من زوجته، بُد أنها قالت له: كلا والذي نفس خولة بيده، لا تخلصن إلي وقد قلت ما قلت حتى يحكم الله ورسوله فينا بحكمه. فجاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقالت: (يا رسول الله، إن أوساً من قد عرفت، أبو ولدي، وابن عمي، وأحب الناس إلي، وقد عرفت ما يصيبه من اللمم وعجز مقدرته، وضعف قوته، وعي لسانه، وأحق من عاد عليه أنا بشيء إن وجدته، وأحق من عاد علي بشيء إن وجده هو، وقد قال كلمة والذي أنزل عليك الكتاب ما ذكر طلاقاً قال: "أنت علي كظهر أمي".

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما أراك إلا قد حرمت عليه". عندها اتجهت إلى الكعبة وصارت تدعو: "اللهم إني أشكو إليك شدة وجدي، وما شق علي من فراقه، اللهم أنزل على لسان نبيك ما يكون فيه فرج. ومما قالت: إن لي صبية صغار إن ضممتهم إلي جاعوا وإن ضممتهم إليه ضاعوا). وقد أنزل الله عز وجل في شأنها المخرج من هذه الحالة، فقال لها

رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا خولة قد أنزل الله فيك وفي صاحبك قرأناً". ثم قرأ: [قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ* الَّذِينَ يَظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُوراً وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ* وَالَّذِينَ يَظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَا ذَلِكَ تُوعِظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ* فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَا فَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ فَاطْعَامُ سِتِينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ خُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ] المُجادلة ٤-١.

ويبدو أن هذه المرأة كانت مُجادلة بامتياز، فيُروى أنها قالت لعمر بن الخطاب وقد أوقفته: (يا عمر عهدتك وأنت تسمى عميراً في سوق عكاظ ترعى الصبيان بعصاك،

فلم تذهب الأيام حتى سميت عمر ثم تذهب الأيام حتى سميت أمير المؤمنين، فاتفق الله في الرعية، واعلم أنه من خاف الوعيد قرب عليه البعيد، ومن خاف بالموت خشي الفوت، ومن أيقن بالحساب خاف العذاب).

وكان عمر يسمعها وقد أحنى رأسه فقيل له: (يا أمير المؤمنين اتقف لهذه العجوز هذا الموقف. قال: والله لو حبستني من أول النهار إلى آخره ما زلت إلا للصلاة المكتوبة، إنها خولة بنت ثعلبة سمع الله قولها من فوق سبع سموات، أسمع رب العالمين قولها ولا يسمعه عمر).

إذن الجِدال هو السبيل لبيان الحق

وقد وضع القرآن الكريم أساسيات للجدال: [ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُنْتَدِينَ] النحل ١٢٥. ونظير ذلك يجنح البعض إلى الجدال السلبي من خلال الاستهزاء بالطرف الآخر: [وَأِنْ يَرَوْا كَلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ] الأنعام ٢٥.

[الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ] غافر ٣٥.

[وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا] الكهف ٥٦.

[وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ] لقمان ٢٠.

[مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرُكَ تَقْلُبُهُمْ فِي الْبِلَادِ] غافر ٤.

يبين الله عز وجل

[وَيَعْلَمُ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِّن مَّحِيصٍ] الشورى ٣٥.

إذن تبين الآية الكريمة بأنهم رفضوا دعوة نوح عليه السلام لهم بالعودة إلى الصلاح. فكان موقفهم: [قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ]. وهذا هو ديدن الإنسان العنيد المتعجرف، فعندما تتقدم إليه البراهين الدامغة، ولا يبقى أمامه سوى أن يعترف بالحقيقة، فإنه يقطع الجدال: [قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا]. فدعنا من جدالك الذي نرفضه.

[فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ]. الفاء هنا إشارة إلى الاستعجال، أي: إِنْ كُنْتَ مِنْ

الصَّادِقِينَ] ها نحن ننتظر [فَأْتِنَا] الآن [بِمَا] تُحَدِّثُنَا مِنَ الْعَذَابِ.

مشيئة الله في العقاب

[قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ] سورة هود، الآية ٣٣

لم يصمت، ولم يرفض التجاوب معهم، كما هم رفضوا الاستمرار في الحوار، واتَّهموه بعدم الصدق. فلبت عليه السلام يُجادلهم بالحكمة والهدوء، [قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ].

فهذا ليس من اختصاصي، وإن كان الله يُمهّل، فمن أكون كي أُعجل. هو ربّي وربكم، وأنا فقط نذير، وكما قلت لكم بأن إمكاناتي هي إمكانات بشرية. فهذه مشيئة الله. فـ [يَأْتِيَكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ]. وعند ذاك ليس بمقدوركم، ولا بمقدور أحد أن يمنع هذه المشيئة في إيقاع العذاب عليكم. [وَ] مهما تكاثرتن ومهما كنتم متمكنين وأقوياء: [مَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ]. بصادّين العذاب.

إشارات التحذير

[وَلَا يَنْفَعُكُمْ نَصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ] سورة هود، الآية ٣٤

شيء آخر أريد أن أقوله لكم رغم أنكم تقولون بأنني أكثرث جدالكم، وهذا صحيح، لانه من كثر حرصي الشديد عليكم. فانا لا أدعوكم إلى الفساد، بل إلى الصلاح، لا أدعوكم إلى الظلم، بل إلى العدل، لا أدعوكم إلى الكفر، بل إلى الإيمان برّبّي وربكم الذي خلقتني وخلقكم، وشرّفتني بالنبوة. فإنني أحذركم فيما لو استمررتن في عنادكم: [وَلَا يَنْفَعُكُمْ نَصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ]. وهذه إشارة بقرب وقوع العقاب عليهم بعد قرون من الدعوة، ومن الرفض. [هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ]. الذي أدعوكم للإيمان به تجدون أعمالكم عنده.

جرم الافتراء على الله

[أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرَمُونَ] سورة هود، الآية ٣٥

تبدو هذه الآية اعتراضية، يتحدث الله سبحانه وتعالى لرسوله عليه الصلاة والسلام عمّا وَقَعَ مع نوح عليه السلام. وكما كان نوح يُنهم نوح بالافتراء، فأنت أيضاً يا مُحَمَّدُ تُنهم بالافتراء: [أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ]. أي أتى بالقرآن من عنده ونسبه إلى الله. [قُلْ]. أجبهم. وبذلك تكون هذه الآية الاعتراضية امتداداً للآية ١٣ التي استهلّت بـ: [أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ]. تماماً كما استهلّت هذه الآية. وكذلك أرشده الله بالإجابة: [قُلْ]. ثم استؤنفت الآية هناك: [فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ]. ولم يستطيعوا، لكن رغم ذلك فتى هذه الآية ما يزالون [يَقُولُونَ افْتَرَاهُ].

الآن يأتي إرشاد آخر من الله عز وجل: [قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي]. بمعنى أن الافتراء جريمة، وإذا ارتكبت هذه الجريمة فعاقبتها تعود علي. [وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرَمُونَ]. لكن الحقيقة أنتم افتريتم لأنكم نسبتم كلام الله إلي، والافتراء في الحالتين جريمة: [وَأَنَا بَرِيءٌ] كل البراءة [مِمَّا تُجْرَمُونَ]. من خلال نسبكم القرآن إلي. وتقع تبعات [مِمَّا تُجْرَمُونَ]. عليكم وليس علي.

عدم الابتئاس

[وَأَوْحِي إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ] سورة هود، الآية ٣٦

بعد كل هذه القرون من الدعوة، الآن يُطلع الله رسوله نوح على الغيب، فيأتيه وحي من الله تعالى ذكره: [أَنَّهُ]. ثم بجزم وحسم: [لَنْ]. أي بدون ذرة واحدة من أمل: [لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ]. فالذين هم معك [لَنْ يُؤْمِنَ]. غيرهم. وهذا علم الغيب الذي لا يعلمه غير الله، ويُطلع من علم غيبه من يشاء سواء من الأنبياء، أو سائر الناس في أي زمان ومكان، وبمسيبات مختلفة بحيث يصل الغيب إلى الشخص، لكنه لا يكون نبياً ولا رسولاً لأنه لا يكلف بالرسالة بل هو غيب لمسألة محددة على الأغلب تخص ذاك الشخص. والوحي كذلك يكون لغير الأنبياء والرسل أيضاً: [إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِهَاً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ] آل عمران ٤٥.

[وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ] المائدة ١١١.

[وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي اليمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ] القصص ٧.

[وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ] النحل ٦٨.

ويمكن أن يعلم بعض الناس شيئاً من الغيب من خلال الرؤيا، وكذلك هناك إشارات تبلغ بعض الناس من خلال النظر إلى تقاسيم وجه شخص ما، أو النظر في عينيه، أو من حركات تبدر منه، أو حتى سماع صوته ولو عن بُعد دون أن يرى الشخص، فيكون على حذر من هذا الشخص، أو يأمنه. هكذا بعض الناس يمنحهم الله سبحانه وتعالى نظرات ثاقبة، أو حواساً تحليلية درّاسة بدرجات متقدمة، بل حتى حواساً زائدة عن غيرهم يحسسون بها ما لا يحس غيرهم. وهذه من مكرمات الله لبعض الناس، ويُصبح لهؤلاء كرامات متمخضة عن تلك المكرمات الإلهية. يقول الله تعالى شأنه: [إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ] الحج ٣٨.

عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لَا يَبْقَى بَعْدِي مِنَ النَّبُوَّةِ شَيْءٌ إِلَّا الْمُبَشِّرَاتُ، قالوا: يا رسول الله، وما المُبَشِّرَاتُ؟ قال: الرؤيا الصالحة، يراها الرجل، أو تُرى له".^٥ ولا يقتصر ذلك على الرؤيا فقط بل أن الله عز وجل يُعاقب الذي يؤذي ولياً من أوليائه. عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ اللَّهَ قَالَ مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ".^٦

^٥ أخرجه أحمد والبيهقي

^٦ صحيح البخاري

إذن: الآن وبمقتضى وحي الله عز وجل، أعلم نوح عليه السلام بهذا العلم الغيبي: [فَلَا تَبْتَئِسْ]. جاءت كلمة [تَبْتَئِسْ] بالغة الدقة وهي تحتل العديد من المعاني مثل: تكتئب، تعتم، تكترب، تقهر، تأسف، تحزن، وما إلى ذلك. فإذا وردت بكلمة من الكلمات المذكورة، لما احتملت كل هذه المعاني.

[فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ]. وكانوا يؤذون نوحاً عليه السلام كباراً وصغاراً. ومن ذلك يُروى أن رجلاً كان يحمل ابنه على كتفه، وعندما رأى الابن نوحاً طلب من أبيه أن يعطيه حَجَراً، ولما أعطاه الحَجَر، رمى به نوحاً. كذلك عندما رآه رجلٌ عجوزٌ يتوكأ على عصا وكان يصطحبه ابنه فقال لابنه: يا بُني لا يغرّنك هذا الشيخ المجنون. فأخذ العصا من أبيه وضرب نوحاً حتى شجّه.

هنا يرفع الله عن رسوله مشاعر الابتئاس التي يمكن أن تعتربه نتيجة طغيان قومه: [فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ].

ويبقى هذا الإرشاد للمؤمنين على مدار الزمن، فمهما تقلّبت الظروف، ومهما اشتدّت الأزمات، عليه أن يصبر، وأن يتجنّب الابتئاس. وبذلك يبقى بمعنويات مرفوعة، كون الابتئاس أول ما يصيب، يصيب المعنويات، فينهار المرء معنوياً إذا استبدّت به مشاعر الابتئاس. وهنا تؤسّس الآية الكريمة معنويات مرفوعة في شخصية الإنسان المؤمن: [فَلَا] ابتئاس مع الإيمان.

جزاء الظالمين

[وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيُنَا وَلَا تَخَاطِبْنِي فِي الدِّينِ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّعْرِضُونَ] سورة هود، الآية ٣٧

هكذا يأتي كل شيء بتدرّج، وكما أن الصالح يبلغ المكرّمات الإلهية بتدرّج، فإن الفاسد يبلغ العقاب الإلهي بتدرّج. فرغم كل ما بدر من الناس من كُفر، فإن الله تعالى شأنه لم يُعاقِبهم، بل جعل لهم نبياً منهم، يُحدّثهم بوحى من الله. بيد أنهم لبثوا مصرّين على ما هم عليه من فساد، وكان ذلك عامّاً في جميع الناس الذين كانوا يعيشون على الأرض، باستثناء نحو ثمانين شخصاً آمنوا وأصلحوا.

وغدت القرون تمضي وهم يرفضون الإرشاد الإلهي بالصلاح، ولولبت الأمر كذلك للبتت الأرض للفاستدين. لكن الله تعالى ذكره لم يخلق الإنسان للفساد، بل خلقه للصلاح، وعبادة الله هي جوهر الصلاح، فكل عبادة خالصة لوجه الله تعالى، هي مزيد من الصلاح إلى الصلاح عند الإنسان: [وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ] الذاريات ٥٦. ذلك أن الصلاح كلّه يكمن في العبادة، ولا صلاح دون عبادة. وكما أن العبادة تُصلح للإنسان حياته، فإن الكُفر يُفسد له حياته، وكما أن حياة الإنسان تتحسن وتنضبط في العبادة، فإن حياته تسوء وتضطرب في الكُفر.

من هنا: [وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيُنَا وَلَا تَخَاطِبْنِي فِي الدِّينِ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّعْرِضُونَ]. فقد خرّجوا عن عبادة الله، وغدوا يستهزؤون بكل ما يدعو إلى عبادة الله. فالآن وبعد كل ذاك الإمهال تلو الإمهال، وهذا البيان الإلهي لهم من خلال نوح عليه

السلام، وإخبار الله: [أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ] . وبذلك مهما أمهلهم من قرون أخرى، فلن يُضاف شخصٌ واحدٌ إلى الذين آمنوا، وسيلبث الفسادُ مُستشرياً فيهم. وهكذا سيبقى الإنسانُ فاسداً على امتداد الزمن. لكن الله سبحانه وتعالى، استخلصَ الصالحين من هؤلاء، وعاقبَ الفاسدين الذين أخبر الله عز وجل بأنهم [لَنْ] يؤمنوا. وبذلك أتاح للبشرية أن تبدأ من جديد بدايةً صالحةً من خلال الصالحين الذين أمر الله نبيه بإعداد سفينة النجاة لهم.

فالآن مع هذه الآية الكريمة، تبدأ المقدمات العمليّة للعقاب الجماعي الذي لن ينجو منه فاسدٌ واحدٌ على سطح الأرض: [وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيُنَا]. فهذه هي التحضيرات الأولى لوقوع العقاب، ولإستخلاص الصالحين ونجاتهم. [بِأَعْيُنِنَا]. يحميه الله ويحفظه حتى ينجز السفينة، وهذا يبعث الطمأنينة لديه بأن العمل سيتم إنجازاً بسلام.

جاءت [بِأَعْيُنِنَا]. للتعظيم، وهذا شبيه بقوله: [فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ] المرسلات ٢٣. [وَوَحْيُنَا]. أي بتعليماتٍ عن كيفية صناعة السفينة، مثل حجمها، وطولها، وعرضها، وتقسيمها، وتقنيات الصنع حتى تحتمل مواجهة الطوفان الكبير دون أن تتعرض للآذى. لأن الذي حصل، لا يمكن لأيّة مركبة مائيّة حديثة وبأعلى التقنيات الحديثة في عصرنا أن تواجهه دون أن تغرق. ويروى أنه عندما تلقى الأمر بصناعة السفينة قال: (يارب ما أنا بنجار. قال: بلى، ذلك بعيني. فأخذ القدم وجعلت يده لا تخطئ، فكانوا يمشون به ويقولون: هذا الذي يزعم أنه نبي، صار نجاراً). فهي مركبة استثنائية سُئِنَ بِأَعْيُنِ اللَّهِ عز وجل [وَ] وفق [وَ] حيه في دقة الصنع. وهذا يبيّن بأن عليه السلام ما كان يعلم كيف سيصنع مثل هذه السفينة، وهي أول سفينة سيصنعها في حياته بدون خبرة. وأية سفينة، السفينة التي لا يمكن لأي بشرٍ أن يصنع مثلها على مدار الزمن البشري كله، السفينة التي صُنِعَتْ بِأَعْيُنِ اللَّهِ ووحيه.

[وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا]. الآن سوف يقع العقاب عليهم بعد الانتهاء من صنع السفينة، ويظهر أنه عليه السلام أراد أن يطلب إمهالاً من الله.

[وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي] شأن عقابي بـ: [الَّذِينَ ظَلَمُوا]. وجاء حسم الله بذلك: [إِنَّهُمْ مُّعْرِفُونَ]. لأنه مهما أمهلوا، يعلم الله أنه: [لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ]. فقد انتهى الأمر، ولا بدّ أن يلقوا عقاب إصرارهم على الطغيان: [إِنَّهُمْ مُّعْرِفُونَ]. قولاً واحداً. لذلك: [وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا]. ومن هؤلاء: زوجته واهلة وابنه كنعان.

يتبيّن لنا في هذه الآية الكريمة أن الله جلّ شأنه، قبل أن يوقع العقاب على الفاسدين، ينجي الصالحين. فجاء [وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيُنَا]. فلك نجاة الصالحين أولاً. ثم [إِنَّهُمْ] الفاسدون المصرون على الفساد بعنادٍ شديد [مُعْرِفُونَ]. ثانياً. وهذا له وجودٌ في القرآن الكريم بحيث يتقدّم ذكر النجاة على العقاب مثل: [وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَجْنَحْنَاكُمْ وَاعْرَفْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ] البقرة ٥٠.

[فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ] [الأعراف ١٦٥].
[نَحْمِ صَدَقَاتِهِمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ] [الأنبياء ٩].
[فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ] [النمل ٥٧].

السخرية المردودة

[وَيَصْنَعُ الْفُلُكُ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ] [سورة هود، الآية ٣٨]

يشرح سيدنا نوح عليه السلام في صناعة السفينة، ويروى أنه استأجر بعض العمال لمساعدته، كما أن أولاده سام، وحام، ويافت صاروا يعملون معه فكانوا يغرسون الأشجار حتي تكبر وتيبس، ويقطعونها، فيغرسون، ويقطعون، وينحتون. تقول الآية الكريمة: [وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ] مع انهماك في العمل الدؤوب استجابة لأمر الله، كان يلقي [مَنْ قَوْمِهِ] السخرية. [قَالَ] راداً سخريتهم إليهم: [إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ].

ولبت مستمراً في العمل، ويروى أن الله عز وجل أوحى إليه: (أن عجل عمل السفينة فقد اشتد غضبي على من عصاني). فدام عمله نحو عشرين سنة من الغرس والقطع والنحت، ولا نعلم بوجود سفينة قبلها في التاريخ البشري، فتكون بذلك أول سفينة صنعها الإنسان. فكانوا يقولون له: (يا نوح ما تصنع؟ فيقول: أصنع بيتاً يمشي على الماء). فيسخر منهن: [وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ]. أنا أعلم ما الذي سيحصل وأصدق، وأنتم قد علمتم ما أنذرتكم به، لكنكم تتجاهلون. [فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ]. بمعنى أن سخريتكم مردودة إليكم.

إعلام مفتوح

[فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ] [سورة هود، الآية ٣٩]
[فَسَوْفَ]. وعيد مؤكد لا يقوله إلا من كان واثقاً مما يقول بنسبة مئة بالمئة.
إذن: [فَسَوْفَ]. أي بعد أن أنتهي من صنع السفينة: [تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ]. الخزي هنا يكون في الدنيا، فيجدون عذاباً يُخْزِيهم، كون ليس كل عذاب يُخْزِي به الإنسان، فهو عذاب يحمل الخزي لصاحبه المستكبر المصّر على الكفر بعنادٍ شديد، ولذلك يمكن أن يُرفع هذا اللون من العذاب عندما يتراجع العاصي عن الإصرار على العصيان ويستغفر الله ويتوب إليه: [فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمٌ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا] [يونس ٩٨]. لكن مع الإصرار على العصيان بعنادٍ شديد: [فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لَنُذِيقَهُمْ عَذَابَ

الْخَزْي فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلِعَذَابِ الْآخِرَةِ أَخْرَى وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ] فصلت ١٦. فهذا خزي الدنيا [وَلِعَذَابِ الْآخِرَةِ أَخْرَى.

الأمر الآخر بالنسبة لعذاب الخزي أن الكافر لا يؤجر عليه، في حين أن المؤمن يؤجر على ما يلقي من أذى. عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: "مَنْ يَرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُصِيبْ مِنْهُ" ^٧. وعن ابن مسعود رضي الله عنه قَالَ: (دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يُوعَكُ، فَمَسِسْتُهُ بِيَدِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ لَتُوعَكُ وَعَكًا شَدِيدًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَجَلْ إِنِّي أُوَعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلَانِ مِنْكُمْ" قَالَ: فَقُلْتُ: ذَلِكَ أَنَّ لَكَ أَجْرَيْنِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَجَلْ"، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَدَى مِنْ مَرَضٍ، فَمَا سِوَاهُ إِلَّا حَطَّ اللَّهُ بِهِ سَيِّئَاتِهِ، كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا" ^٨.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: "مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ وَصَبٍ وَلَا نَصَبٍ وَلَا سَقَمٍ وَلَا حَزَنٍ حَتَّى الِهِمُّ بِهِ إِلَّا كُفِّرَ بِهِ مِنْ سَيِّئَاتِهِ" ^٩. وعن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: "إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الْخَيْرَ عَجَلَ لَهُ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُؤَافِيَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" ^{١٠}.

بل حتى لو تقصّد ارتكاب الذنوب، لكنه تراجع وندم، فإن الله غفور رحيم، ولا يلقي لا عذاب الخزي، ولا غيره، لا في الدنيا ولا في الآخرة، أي كما لو أنه لم يُذنب وفق مغفرة الله، بل لو شاء الله سبحانه وتعالى استبدل سيئاته حسنات، لأنه ما أصرّ على الذنوب، بل استغفر الله وتاب إليه، وأصلح من شأن نفسه، وانقلب من إنسانٍ فاسد إلى إنسانٍ صالح يُقدّم أعمالاً صالحة.

[وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ] آل عمران ١٣٥. [إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا] الفرقان ٧٠.

[أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ] الأحقاف ١٦.

[وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ] محمد ٢.

فما يلقاه المؤمن من بعض الضيق أو الشدة، لا يخزي به، لأن الله عز وجل يُجَنّب المؤمن كل أشكال الخزي مهما لقي من ضيق، بل يرتقي المؤمن وهو في ذروة ضيقه

^٧ صحيح البخاري

^٨ صحيح مسلم

^٩ صحيح مسلم

^{١٠} رواه الترمذي

إلى مقامات التقوى، وبذلك فإن الله يتيح لعباده هذا الارتقاء من خلال الابتلاء أيضاً، فيكون الابتلاء سبباً في الارتقاء: [وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ] من اعتداء الظالمين المتمكنين [وَالْجُوعِ] المحل والقحط [وَنَقْصِ مِّنَ الْأَمْوَالِ] الخسارة المالية [وَالْأَنْفُسِ] موت المقرّبين أو إصابتهم بأمراض [وَالثَّمَرَاتِ] الأذى الذي يصيب المزروعات [وَبَشْرِ الصَّابِرِينَ] البقرة ١٥٥. الذين ياكلون أمرهم الله ويحتملون.

وهنا كما أن المؤمن يرزقه الله كذلك في الجنة وبقية عذاب النار بالذنوب التي ارتكبتها، وغفرها له الله، فإن الكافر [يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ]. في الدنيا [وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ]. في الآخرة. أي يبقى العذاب قائماً عليه حيث يكون في الجحيم، لأنه ما أقام الله حدوداً، واستهزأ بالقرآن، وأنكر وجود الله، أو أشرك به، وسخر بما يؤدّيه المسلمون من شعائر الإسلام. وبذلك لا يستوي الصالحون والفاقدون في الدنيا وفي الآخرة. [وَفَسَوْفَ تَعْلَمُونَ]. في مُفْتَتِح الآية الكريمة، تلبث مفتوحة للناس جميعاً صالحين وفاسدين على مدار الزمن، فالجميع سيعلم [مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ]. في الدنيا، [وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ]. في الآخرة.

نجاة المؤمنين

[حَتَّى إِذَا جَاء أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ] سورة هود، الآية ٤٠
الآن تحقق وعد الله عز وجل بعقاب المصرّين على الطغيان، وأصبح هذا الوعد بحكم الواقع، وقد أصبحت السفينة على أهبة الاستعداد لنجاة الصالحين. فعندما يأتي أمر الله بعد الإمهال، فلا شيء يمكن له أن يعيقه، وتقع الضربة على الظالم الجائر في الصميم ليكون عبرة لمن اعتبر: [بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ] البقرة ١١٧.
[وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ] الأنعام ٧٣.

إذن أمر الله سبحانه وتعالى في الآية الكريمة هو الوعد الذي جاء على لسان رسوله نوح عليه السلام في مستهل الآية السابقة: [فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ]. و: [حَتَّى]. في مُسْتَهْل هذه الآية هي الفترة الزمنية التي استغرقت في صنع السفينة. والآن الخطاب لله تعالى ذكره: [حَتَّى إِذَا جَاء أَمْرُنَا]. أي بالفيض العام.
[وَفَارَ التَّنُّورُ]. وهو الذي يُصنع فيه الخبز. وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم: "إذا دعا الرجل زوجته لحاجته فلتأته وإن كانت على التنور".

لكن كيف يفور التنور بالماء؟ الفوران هو الارتفاع، أي فاض التنور بالماء. وهذه أقرب إشارة للطوفان الذي سيبدأ، أي ستبدأ الكرة الأرضية كلها تفور بالماء اعتباراً من لحظة فوران التنور. ولعلّ هذه كانت علامة من الله عز وجل، لسيدنا نوح عليه السلام حتى يسارعوا إلى السفينة، لأنهم كانوا على الأرض مع بقية الناس كونهم لا يعلمون متى سيقع الطوفان. وإن كان نوح يعلم بحدوث الطوفان، بيّد أنه لا يعلم التوقيت

الدقيق لحصوله، فهو إذن في حالة ترقب وتأهب. وبذلك فإن المؤمنين معه وهم [قَلِيلٌ]. أيضاً كانوا في حالة ترقب وتأهب، فكانت هذه هي العلامة. ولعله عليه السلام كان يُراقب التنور بين حين وآخر، حتى رأى بالفعل رأي العين بأن الماء قد فار منه، لكنه تنورٌ واحدٌ كما هو ظاهرٌ بصيغة المفرد، والأرجح يكون تنور بيته.

الفوران هنا يعني أن الماء سيخرج من تحت التنور حتى يمتلئ بالماء ويفور إلى الخارج، فبراه أي شخص يقع نظره عليه. فعند ذلك أدرك سيدنا نوح عليه السلام بأن الموعد قد حان، لكن سينتظر الأمر الإلهي في تلك اللحظات، لأنه لا يستطيع أن يتصرف من تلقاء نفسه. فيأتيه الوحي: [قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا] في السفينة [مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ].

وهذا يبين بأن السفينة كانت مؤلفة من طوابق ومداخل حسب إرشاد الله عز وجل. [وَأَهْلَكَ]. الأهل هم الأقرب إلى الإنسان، كالزوجة والأبناء والأحفاد. ولذلك يُقال للرجل الذي يتزوج: تأهل، وكذلك المرأة: تأهلت. [إِلَّا]. باستثناء: [مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ]. وهم الذين لم يؤمنوا من الأهل. [وَمَنْ آمَنَ] الذين آمنوا من عموم القوم. [وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ].

الحماية الإلهية

[وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ] سورة هود، الآية ٤١
الآن يستجيب سيدنا نوح عليه السلام لما تلقاه من الله عز وجل في الآية السابقة:
[وَقَالَ] تنفيذاً للوحي: [ارْكَبُوا فِيهَا]. جاءت الكلمة دقيقة، وكان يمكن أن يقول: اصعدوا، وما إلى ذلك. لكن [ارْكَبُوا]. وبذلك يُصبحون ركاباً، والراكب مدة ركوبه في المركبة تكون محدودة.

والراكب لا يركب المركبة إلا إذا أصبحت على وشك الانطلاق. وهنا بالفعل بدأ الانطلاق بعد الركوب: [بِسْمِ اللَّهِ]. وهذا توجيه لأي راكب وهو يركب أية مركبة أن يُسمي [بِسْمِ اللَّهِ]. و [بِسْمِ اللَّهِ]. يكون له وللمركبة معاً. ولا يكون ذلك عند الانطلاق فقط، بل عند الوصول أيضاً. فهي تمضي [بِسْمِ اللَّهِ]. وتقف عند الوصول [بِسْمِ اللَّهِ]. فعندما تركب تقول: [بِسْمِ اللَّهِ]. وعندما تنزل تقول: [بِسْمِ اللَّهِ]. لكن هل يختلف شيء في المركبة عندما تقول: [بِسْمِ اللَّهِ]؟

نعم يختلف، ولا شيء لا يختلف ما اسم الله سبحانه وتعالى، ولا يتساوى شيء ذُكر عليه اسم الله مع شيء لم يُذكر عليه اسم الله. وفي الآية السابعة وقفنا بشيء من الشرح مع الماء الذي يُذكر عليه اسم الله، يختلف عن الماء الذي لا يُذكر عليه اسم الله. [ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا]. تكون المركبة قد تحركت [بِسْمِ اللَّهِ]؟ ثم عطف: [وَمُرْسَاهَا]. المرسى هنا بمعنى الوصول بسلام.

فالسفينة لم تكن فقط لحماية من بداخلها ريثما ينتهي الطوفان، بل ستمضي وترسي بهم في موضع آخر غير الذي كانوا فيه.

وباء الكفر

[وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَعَنَا وَلَا تَكُن مَعَ الْكَافِرِينَ] سورة هود، الآية ٤٢

[وَهِيَ]. يرد الفلك في القرآن بالتأنيث: وَالْفُلُكُ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ البقرة ١٦٤.

وَالْفُلُكُ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ الْحج ٦٥.

إذن السفينة [تَجْرِي] تمضي مسرعة [بِهِمْ] يَمُن فيها [فِي مَوْجٍ]. وسط هبوط وارتفاع الماء. [كَالْجِبَالِ]. حيث يعلو الموج بارتفاع الجبال، ويهبط. هكذا نُصَوِّر الآية الكريمة تفاصيل وقوع الطوفان الذي أغرق الكرة الأرضية برمتها، بحيث لم يعد يظهر شيء على سطح الأرض سوى الماء، ولا شيء يعلو الماء سوى السفينة.

ومن المؤكد فهي سفينة غير عادية ولا يمكن لبشر قط أن يصنع سفينة كهذه تصمد في فيضان عام يشمل الكرة الأرضية كهذا، حيث تُصَبِّح الأمواج بارتفاع أعلى جبال الأرض. وليس هذا فحسب بل يكون اندفاع الماء بقوة الجبال على السفينة [فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ]. أي كما لو أنها أمواج من جبال من شدة قوتها.

وأقل من مثل هذا الطوفان يؤدي إلى غرق أعظم سفينة يمكن أن يصنعها الإنسان. فهي السفينة الوحيدة الغير قابلة للغرق بنسبة مئوية، ولا توجد سفينة غيرها غير قابلة للغرق بنسبة مئوية.

إذن: [وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ]. فيكون الماء في ذروة اضطرابه، لأن الموج لا يقع في سكون الماء، بل عندما يحدث له اضطراب، وهذا ما يمكننا تسميته برد فعل الماء على هذا الاضطراب، مثل حصول العواصف، أو أية عوامل أخرى.

وهنا كان الماء ينهمر من السماء بغزارة شديدة، كما ينبع من الأرض بغزارة شديدة: [فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ* وَفَجَرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ] القمر ١١، ١٢. وبذلك تحولت الأرض كلها إلى بحر كبير، ولم تعد هناك بقعة واحدة من الأرض لم تغمرها الماء.

[وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ]. عند الدخول إلى السفينة [وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ]. اعتزل أهله الذين دخلوا السفينة: [يَا بُنَيَّ ارْكَب مَعَنَا]. كن مع أهلك ومع المؤمنين. [وَلَا تَكُن مَعَ الْكَافِرِينَ]. دون أهلك ودون المؤمنين.

عاقبة العناد

[قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ] سورة هود، الآية ٤٣

نحن الآن مع بدايات الطوفان الكوني العام، وقد تجاوزنا مرحلة فوران التتور. وهنا ما يزال الحديث ممكناً مع مَنْ هم في الأرض، بالنسبة لِمَنْ أصبحوا في السفينة. وهذا يعني أن أي شخص بإمكانه أن يدخل سفينة النجاة. نادى نوح عليه السلام ابنه: [يَا بُنَيَّ ارْكَب مَعَنَا]. وهذا يعني أنه كان بإمكانه الاستجابة لدعوة أبيه والركوب في السفينة، وبذلك يقي نفسه الغرق حتى وإن لم يكن قد آمن، لأن الكلام غير مشروط فيه بالإيمان: [يَا بُنَيَّ ارْكَب مَعَنَا]. وهذه هي مشاعر الأبوة التي تبقى تأمل الصلاح في الابن حتى اللحظات الأخيرة، وهذه المشاعر بثّها الله عز وجل برحمته في الإنسان.

[قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ].

[سَآوِي]. من المأوى، أي المكان الذي يقصده المرء كي يأويه.

[سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ]. سألجاً [إِلَىٰ جَبَلٍ] مرتفع [يَعْصِمُنِي]. يحميني [مِنْ] وصول [الماء] إلي.

وهذا بيانٌ بأن موقفه النهائي هو عدم الإيمان، والإصرار بعنادٍ شديدٍ على الكفر رغم حلول الخطر.

وهنا نرى بأن الكفر يقتل المشاعر الإنسانية في الإنسان، فلم يُقدّر مشاعر أبيه، بل ضَرَبَ بها عرض الحائط. ونظير ذلك نرى كيف أن الإيمان يُنمي المشاعر الإنسانية في الإنسان، فرغم كفر الابن، لبثت مشاعر الأبوة يقظة لديه، ولبت يُحاول معه حتى اللحظات الأخيرة، حتى أنه لم يذكر الإيمان كما ورد في الآية السابقة: [يَا بُنَيَّ ارْكَب مَعَنَا]. وقد أخبره الله عز وجل في الآية ٣٦: [أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ]. فرغم كل ذلك وفي ذروة هذه اللحظات الأخيرة، وذروة لهفة مشاعر الأبوة لابنٍ أخبره الله سبحانه وتعالى بحسم: [أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ]: [وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَعَنَا وَلَا تَكُن مَعَ الْكَافِرِينَ]. لكن مشاعر الابن لم تكن هكذا، ولم يكن مطيعاً لأبيه، بل عاقاً له: [قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ]. ورغم ذلك لم يتركه، بل استمرّ معه، بل أخبره بالوحي الذي تلقاه بهذا الشأن لعلّه يركب السفينة: [قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ].

الطوفان عامٌ ولا شيء يمكن أن يجعل أي إنسان معصوماً من الغرق [إِلَّا مَنْ رَحِمَ]. ولبت الابن في عِناده، ولم يستجب.

[وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ] فصل [بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ] وجرفه [فَكَانَ مِنَ الْمَغْرِقِينَ]. وهكذا كانت لديه فرص عديدة حتى اللحظات الأخيرة، بيد أنه لبث مصراً على الكفر. والله عز وجل يتيح للناس الفرص تلو الفرص ويمهلهم الإمهال تلو الإمهال حتى يتراجعوا ويصلحوا. وشمل ذلك حتى فرعون الذي كان يدعي الألوهية: [أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ * فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ] طه ٤٣، ٤٤. لكن مع العناد الشديد، والإصرار على الكفر، يأتي العقاب: [وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمَغْرِقِينَ]. فلا شيء يمكن أن يمنع وقوع العقاب إذا أوقعه الله على الكافر المصّر على كفره.

إشراقه الصلاح

[وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ] سورة هود، الآية ٤٤

الآن تحقق وعد الله بالعقاب بعد كل قرون الإمهال، وولادة الأجيال الفاسدة تلو الأجيال، والإجماع على رفض النبي نوح عليه السلام، باستثناء القلة المؤمنة التي أصبحت في السفينة.

[وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ]. جاءت كلمة [ابْلَعِي] بالغة الدقة، وكان يمكن القول: اشربي. وكانت الأرض ستشرب الماء، لكن الشرب يكون بطيئاً قياساً بالبلع. وهذا يُعلمك شيئاً هاماً، وهو أنك عندما تكون عطشاً، فإنك قد تبلع الماء، ولا تشربه، فيكون من الإناء إلى حنجرتك فوراً، وهذا هو البلع.

والماء لا يُبتلع، بل يُشرب، والإنسان يتنكّه ويستلذ بشربه. فتتعلّم هنا أن تجعل شربة الماء تصل إلى فمك بشكل جيد وخاصةً اللسان، وهكذا تشرب بأريحية. فإذا راجعت نفسك قد ترى بأنك حرمت لسانك من وصول الماء إليه وأنت تشربه، لأنك كنت تبتلعه، ولم تكن تشربه.

لكن عندما يصل الماء إلى لسانك وبعض مساحات الفم وأنت تشربه، تنتكّه به. والفرق يكون تاماً عندما تبلع قطعة لحم دون أن يتذوّقها لسانك وفمك، وعندما تمضغها وتستلذ بنكهتها وأنت تأكل.

إذن البلع أسرع من الشرب، ولذلك: [يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ]. لأن النسبة كبيرة جداً حيث امتلأت الأرض كلها بالماء الذي غمر حتى أعلى جبال الأرض. وكذلك عندما جاء الطوفان فكان انهياراً من السماء ولم يكن هطولاً، وكان تقجيراً من خلال عيون في الأرض، وليس سيلاناً عادياً: [فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ* وَفَجَرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا] القمر ١١، ١٢. ثم كان اللقاء الأكبر بين المائين على الأرض: [فَأَلْقَى الْمَاءَ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ].

وهكذا تحوّلت الأرض إلى بحر كبير بأمواج هائلة [كَالْجِبَالِ]. والظاهر أن الله عز وجل قد فتح [أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ] وكذلك: فَجَرَ [الْأَرْضَ عُيُونًا]. ويجوز أن الله تعالى ذكره لم يكلف ملكاً: [فَفَتَحْنَا] بنون العظمة، ولعلّ المعنى: [فَفَتَحْنَا] أي نحن الله [أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ] كذلك: [وَفَجَرْنَا] نحن الله [الْأَرْضَ عُيُونًا].

الآن تختلف الصيغة، فبضمير الغائب: [وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ]. تستجيب الأرض وتبلع ماءها.

[وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي]. تمسك السماء عن الانهيار.

[وَوُغِيضَ الْمَاءِ]. الغيظ هو القلة، أي بقي غيظ من كل ذاك الفيضان، هذا الغيظ الذي تحتاجه الكائنات الحية على الأرض، كالبهار والأنهار وما إلى ذلك. [وَقُضِيَ الْأَمْرُ]. أوقع الله عز وجل العقاب بالعصاة.

[وَاسْتَوَتْ]. ثبتت السفينة [عَلَى] فوق قمّة جبل [الْجُودِيّ] ونزل منها مَنْ كان بداخلها من الناجين.

هكذا رأوا أنفسهم في موضع مختلف عن الموضع الذين كانوا فيه، لعلهم يروه لأول مرة، وأنه لم يبق أثرٌ للجنس البشري على سطح الأرض غيرهم. [وَقِيلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ]. أي: هلاكاً [لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ].

بدأت الضمانات في الآية الكريمة مبنيةً للمجهول منذ كلمتها الأولى وحتى خاتمتها: [وَقِيلَ]. ثم [وَعِضْ]. ثم: [وَقُضِيَ الْأَمْرُ]. ثم: [وَاسْتَوَتْ]. ثم اختتمت الآية بذات ضمير المجهول الذي استهلّت به: [وَقِيلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ].

المجهول هنا من خلال الاستجابة له يُصبح معلوماً، لأن هذه الاستجابة لا يمكن أن تكون لأحدٍ قط سوى الله سبحانه وتعالى. فَمَنْ يمكن له أن يأمر الأرض بابتلاع الماء، وتستجيب له، وَمَنْ يمكن له أن يأمر السماء بأن توقف الماء المنهمر منها، فتستجيب للأمر.

والأمر هنا حاسمٌ ومختصرٌ، فليس يا أيتها الأرض. على سبيل المثال. بل: [يَا أَرْضُ]. باسمها المجرد، كما لو أنك تقول لِمَنْ يكون تحت إدارتك: يا فلان افعل كذا. فيمثل للأمر. وهذا غير لو قلت: يا سيد فلان. بل تصدر الأمر العاجل له باسمه المجرد للسرعة في التنفيذ. والله المثل الأعلى.

إذن: [يَا أَرْضُ]. وهذا يعني بأن الأرض سمعت، ذلك أن الخطاب يكون لشيءٍ يسمع ويتفاعل مع ما يسمع. ثم أن الذي لا يسمع، لا يستجيب، لأنه لا يسمع. فقد سمعت الأرض واستجابّت على الفور لما سمعت: [ابْلَعِي مَاءَكُمْ].

فبلعت ماءها. ثم: [وَيَا سَمَاءَ]. كذلك جاء الخطاب باسمها: [وَيَا سَمَاءَ أَقْلِعِي]. فسمعت الأمر الموجّه لها، وأقلعت عن انهمار الماء.

ثم: [وَعِضْ الْمَاءَ]. نقصت كمية الماء نتيجة ابتلاع الأرض له، وإقلاع السماء عن الانهمار، فبذلك: [وَعِضْ]. نقص [الماء]. حتى أصبح طبيعياً.

[وَقُضِيَ الْأَمْرُ]. بذات السوية وفق ضمير المجهول، تمت معاقبة كافري الأرض جميعاً. [وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ]. فهذه هي الخلاصة الصالحة من البشر، وهم نحو ثمانين شخصاً بين رجل وامرأة.

ثم اختتمت الآية الكريمة: [وَقِيلَ]. باستمرار ضمير المجهول إلى نهاية الآية: [بُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ].

اتضح من الاستجابات بأن الأمر صادرٌ من الله جل شأنه. كما أن الماء عاد إلى سويته الطبيعية على الأرض. [وَقُضِيَ الْأَمْرُ]. بأمر الله.

[وَاسْتَوَتْ] بمشيئة الله [عَلَى الْجُودِيِّ]. وقد أبعد الله عز وجل القوم [الظَّالِمِينَ]. عن الأرض.

[وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ * تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءَ لِمَنْ كَانَ كُفِرًا] القمر ١٣، ١٤.
حيث يصعب لأي بشر قيادة السفينة في فيضان ضخم كهذا. كما يصعب لأي بشر صناعة سفينة كهذه، لذلك: [وَأَصْنَعُ الْفُلَّكُ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيُنَا].

بين الإيمان والكفر

[وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ]
سورة هود، الآية ٤٥

رغم أن الابن رفض الركوب في السفينة، وتعرضه للغرق، إلا أن عاطفة الأبوة لبنت متحركة لدى سيدنا نوح عليه السلام، فلجأ إلى الله عز وجل مستفسراً من جهة، وسائلاً نجاة ابنه من جهة أخرى، والله قادر أن يُنجيه حتى لو كان في قعر بحر. الاستفسار: [إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي]. وكلمة الأهل ذكرها الله سبحانه وتعالى في الآية ٤٠: [قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ]. هنا وبقرة أبوته أمسك سيدنا نوح عليه السلام بهذه الكلمة: [إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي]. ولا يعني ذلك أنه نسي: [إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ].

فهو نبي ولا ينسى وحي الله له مهما كان متقدماً في السن، فقد كان عند وقوع الطوفان في نحو تسعمائة سنة من عمره. فليس [وَأَهْلَكَ] جميعاً، بل باستثناء [مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ] منهم.

ولم يكن [إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ]. فقط، عند الانتهاء من صنع السفينة وحصول الطوفان، بل قبل الشروع في صنع السفينة أيضاً في الآية ٣٧، حيث كان الحسم: [وَأَصْنَعُ الْفُلَّكُ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيُنَا وَلَا تَخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ]. كما أن الابن أيضاً أصر على الكفر، ورفض الركوب في السفينة رغم نداء الأب له: [يَا بُنَيَّ ارْكَب مَعَنَا وَلَا تَكُن مَعَ الْكَافِرِينَ]. لكن الابن لبث متمسكاً بكفره: [وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمَغْرِقِينَ].

الآن يعود إلى الله بأبوته بعد أن انتهى الطوفان، وبعد أن: [وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَّمَاءُ أَقْلَعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ].

فلبث قلب الأب النبي على ابنه الكافر الذي لقي الهلاك نتيجة إصراره الشديد على الكفر: [وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ]. فلم ينس ابنه الكافر رغم وجود أبنائه المؤمنين معه: [فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ].

الموعظة الإلهية

[قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ] سورة هود، الآية ٤٦

جاء الجواب حاسماً هنا، ولعلَّه الجواب الأكثر مباشرة الذي يجعله يهدأ.
[يَا نُوحُ]. هكذا أمام الأمور الحاسمة يأتي خطابُ الله جل جلاله بالاسم، فذكر الاسم يجعل الإنسان في انتباه أكثر، وهذا يحصل بين الناس، فعند المواقف الجادة والحاسمة، يُنادي الشخصُ باسمه.

[وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ] البقرة ٣٥.

[قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَنذِلُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ] المائدة ٢٢.

[قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنَنذِلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ] المائدة ٢٤.

[فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى] طه ١١٧.

هنا: [قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ]. بيانا لقوله: [إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي].

لماذا ليس من أهله وهو ابنه، والأبناء هم من أهل الأب؟ جاء البيان الإلهي: [إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ]. وهذا لا يعني بأنه ليس ابنه، وقد قال الله سبحانه وتعالى بأنه [ابْنُهُ] كما

جاء في الآية ٤٢: [وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ]. إذن، فهو ابنه ومن صلبه، لكن الكفر يُخرج الكافر من أهليته للمؤمن حتى لو كان ابنه.

وبذلك فإن خيانة زوجتي نوح ولوط لم تكن خيانة الزنا في بيانه تعالى: [ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأةَ نُوحٍ وَامْرَأةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا] التحريم ١٠.

فقد كانت واهلة زوجة نوح عليه السلام تدَّعي بأن زوجها رجل مجنون، وكانت واهلة زوجة لوط عليه السلام تُخبر القوم عندما يحل ضيوفٌ على زوجها وذلك من خلال إشعال النار إذا كان الوقت ليلاً، وفي النهار من خلال الدخان. فالتى تفضح أسرار بيتها الزوجي تكون خائنة، والرجل الذي يُسرِّب معلومات عن بلاده للغير، يكون خائناً.

وقد جاء هذا الاستثناء من الأهلية في الآية ٤٠: [وَأَهْلُكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ].

فالآن أصبح من الطبيعي: [إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ]. وفق [وَأَهْلُكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ].

وما أفقد أهليته إليك: [إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ]. أي فقد صلاحية الأهلية إليك من خلال إصراره على الفساد.

والفَبَضَانُ بذاته جاء لعقاب الفاسدين، وَنَجَاةُ الصالحين، فلو بقي فاسدٌ بين الصالحين، لما بدأت البشرية بعد الطوفان من صالحين فقط، وبالتالي لما حقق الطوفانُ

الغاية منه، وهي استخلاص الصالحين لتبدأ بشريَّة جديدة صالحة منهم. إذن: [إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ].

وهذا بيانٌ بأن الإنسان هو عَمَلُهُ، فما هو عَمَلُكَ؟ ذلك هو أنت. فَعَمَلُكَ أنت، وأنت عَمَلُكَ. فَعَمَلُهُ الغير [صَالِحٍ]. أصبح هو: [عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ]. و [غَيْرُ صَالِحٍ]. من شأنه أن يُفسد الصالح، ولذلك يُقصيه الله عن أهليته للصالح.

[فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ]. فإله عز وجل يعلم ما لا يعلم الأنبياء، وسائر الناس، وكل ما يأتي من الله عز وجل يكون عن علم. [إِنِّي أَعْظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ]. أي إذا استمرت في سؤال: [مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ]. ويبقى هذا الإرشاد مفتوحاً لسائر الناس في كل زمان ومكان، فبعض الأسئلة لا تؤدي إلى العلم، بل تقضي بصاحبها إلى الجهل. [إِنِّي أَعْظُكَ]. وهذا إرشاد للنبي نوح عليه السلام، وقد عاش نحو تسعمائة سنة، فمن الذي يسلم من الجهل إذا استمر في سؤال [مَا لَيْسَ] له [بِهِ عِلْمٌ]. ما يمكن استنتاجه من هذه الواقعة، هو كما أن الله تعالى شأنه، يقول لنوح عليه السلام: هذا شخص غير صالح، وكل الذي حصل هو من أجل أن نصطفي الصالحين حتى تبدأ منهم سلسلة بشرية جديدة صالحة من نسل أناس صالحين تماماً، ولا فاسد واحد بينهم.

الأمر الآخر، فهذا الشخص لا يريد الإيمان، ومتشبه بالكفر، فهو الذي رفض أن يركب السفينة ويكون مع الصالحين، وأثر البقاء مع الفاسدين، وهذا قراره. فإذا أنجى الله عز وجل شخصاً فاسداً مع الصالحين، سيبقى للفساد أصل، ويكون الله قد أغرق أناساً لا يختلفون عن ابن نوح بالكفر الذي أنجاه رغم إصراره على الكفر حتى اللحظات الأخيرة. والطوفان العام جاء ليستأصل كل ما هو فاسد على الأرض، ولا يترك سوى كل ما هو صالح. أما الذي يفسد بعد ذلك، فيكون قد ابتدع الفساد، ولن تكون له حجة، لكن لو لبث ابن نوح الذي قال فيه الله عز وجل: [إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ]. للبث في الإنسان أصل فاسد.

تجنب الخسارة

[قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنَ مِنَ الْخَاسِرِينَ] سورة هود، الآية ٤٧
الآن بلغته الموعظة، وهذا هو الإنسان السوي السليم، فهو يزداد صلاحاً كلما استجاب للموعظة الإلهية أكثر. فبعد أن تلقى ما تلقى: [قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ]. فاستناداً إلى أن الله دوماً يعلم ما لا يعلم الإنسان، وهو يعرف مصلحة الإنسان أكثر من الإنسان، يكون المرجع دوماً إليه، وما يأتي منه يكون عين الصواب. فقد يحصل أن الإنسان نتيجة بعض نقاط الضعف يسأل الله أشياء لا يرضاها الله، وتكون مخالفة لشرعه، كون الإنسان لا يعلم كل شيء، ولكن الله الذي يعلم كل شيء لا يستجيب له، لأن هذه الاستجابة يكون فيها الأذى للسائل نفسه، وكذلك لغيره.

هنا يستجيب الإنسان للعظة الإلهية، لذلك: [قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ] ثم استأنف: [وَالَا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ]. لأنني أكون خسرْتُ رضاك عني.

سلام الله وبركاته
[قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ] سورة هود، الآية ٤٨
[قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ]. كذلك جاء النداء باسمه، ورغم أن النداء هو واحد وبذات الاسم، إلا أنه مُختلف عنه في الآية ما قبل السابقة: [قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ].
هنا بدل: [قَالَ]. جاء: [قِيلَ]. بضمير الغائب. لكن: [بِسَلَامٍ مِنَّا]. بيان ضمير الغائب: [مِنَّا]. من الله.

فهناك كان نداء موعظة وإنذار: [إِنِّي أَعْظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ].
وهنا نداء رضي وقبول قوله: [رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَالَا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ].
إذن: [يَا نُوحُ اهْبِطْ انزل من السفينة [بِسَلَامٍ مِنَّا]. طمأنينة له بأنه سينزل سائماً بعناية الله، كونه سينزل في مكان لا يعرفه، ثم أن ليس كل من يصل إلى مكان بسلام، ينزل من المركبة بسلام أيضاً. فالنزول قد يصطحبه قلق كونه سينزل على الأرض التي خلت من رائحة الإنسان، ولا أحد قط غيره ومن معه فجاءت عبارة [بِسَلَامٍ مِنَّا]. بالغة الدقة، فالنزول [بِسَلَامٍ مِنَّا]. ومكان النزول [بِسَلَامٍ مِنَّا]. وليس هذا فحسب، بل: [وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ]. فالسلام لوحده لا يكفي، فتأتي بركة الله لتجعل حياة الإنسان جميلة ومزدهرة.

يتبين هنا بأن الإيمان هو أصل أن ينعم الله سبحانه وتعالى على الإنسان بسلامه وبركاته، وأن الكفر هو أصل حرمان الإنسان من سلام الله وبركاته.
[وَعَلَى أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ] في السفينة الآن. لماذا؟

يأتي البيان في الجملة التالية: [وَأُمَمٌ]. ستتكاثر من هذه الأمم الموجودة معك في السفينة. والذين يستمرّون في الصلاح سيبقون [بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ]. أما الذين ينحرفون ويطغون: [سَنُمَتِّعُهُمْ]. نمهلهم الإمهال تلو الإمهال، ونغدق عليهم من ألوان المتاع، وينتفع منهم من فرص الإمهال فيستغفرون ويتوبون، والله غفور رحيم. أما الذين يُعَادِنُونَ ويستكبرون ويزدادون فجوراً وطغياناً في الأرض: [ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ]. في الدنيا قبل الآخرة. [وَلَوْ يُوَاقِدُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ] النحل ٦١ فهذا النجاة لا يعني أن الذين سيبتكثرون من أصل هؤلاء الصالحين، إذا طغوا وظلموا، لن يُعَاقَبُوا، بل: [يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ].

ما يمكن استنتاجه من الآية الكريمة، هو ألا ينغر الإنسان بما يُمتّعه الله من ألوان رغد العيش، فكل ذلك حتى يزداد الصالح صلاحاً، و يتراجع الفاسد عن فسادهِ. [وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى] لقمان ٢٢. ولكن إذا أصرّ الفاسدون على فسادهم: [نُمتّعهم قليلاً ثُمَّ نضطرّهم إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ] لقمان ٢٤. فالصالح يتمتّع بهذا المتاع الذي ينعم به الله عليه، وينفع به غيره أيضاً مغتنماً قدرته ونفوذه المالي فيزداد بذلك صلاحاً على صلاح وإيماناً على إيمان. والفاسد يتمتّع به كذلك، لكنه يبطر ويؤذي غيره مستغلاً قدرته ونفوذه المالي، فيزداد بطشاً وجوراً.

نصر المتقين

[تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ] سورة هود، الآية ٤٩

كل هذه الأحداث التي حصلت في الطوفان، غابت عن الناس بحكم الزمن، وقد ورد الطوفان في التوراة، لكن ليس بهذه التفاصيل، إضافة إلى ما وقع من تحريف في التوراة كما يُخبر الله جل جلاله في القرآن. فهناك تشابه بين ما ورد في كثير من الأساطير حول الطوفان، وبين ما ورد في التوراة. وهذه الآية الكريمة تؤكد ذلك في مفتحها: [تِلْكَ]. أي ما جاء في الآيات السابقة عن طوفان نوح: [مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ]. لبث غائباً. [نُوحِيهَا] نوحى الأنباء الآن [إِلَيْكَ] يا مُحَمَّد [مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا] الوحي. وهذا هو المراد مما ذُكر في [تِلْكَ] الآيات. فقد صبر نوح نحو تسعة قرون ولم يبأس. ويبقى الإرشاد الإلهي مفتوحاً لكل مؤمن: [فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ]. وهذا وعدٌ من الله عز وجل بأن صبر المتقي يتكلل بالنصر. فلا بدّ للعاقبة أن تكون [لِلْمُتَّقِينَ].



ديداكتيك التحدث: مقاربة لسانية معرفية
Teaching speaking : linguistic and cognitive approach

إعداد
د. عبد الرحيم ناجح
Dr. ABDERRAHIM NAJIH
أكاديمية مراكش – آسفي - المغرب

Doi: 10.21608/jnal.2022.249287

٢٠٢٢ / ٤ / ٢٦	استلام البحث
٢٠٢٢ / ٥ / ١٠	قبول النشر

ناجح ، عبد الرحيم (٢٠٢٢). ديداكتيك التحدث: مقاربة لسانية معرفية. *مجلة الناطقين بغير اللغة العربية* ، المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب، مصر، مج(٥)، ع(١٤)، ص ص ٤٧ – ٦٢.

ديداكتيك التحدث: مقارنة لسانية معرفية

المستخلص :

نهتم في هذا البحث بمقاربة ديداكتيك التحدث (speaking) من منظور لساني معرفي. ويهدف إلى رصد السيرورات المعرفية واللسانية التي يوظفها متعلم اللغة العربية في قدرة التحدث. وتكمن أهميته في الوقوف عند التقاطع بين اللسانيات والمعرفية (cognitivism) لفهم الميكانزمات التي تنتظم تعليم التحدث وتعلمه. البحث منظم كالآتي: نهتم في الفقرة الأولى بمفهوم التحدث، ونسلط الضوء على مفاهيم ذات الصلة: الطلاقة والدقة والتعقيد. ونخصص الفقرة الثانية للسيرورات المعرفية الموظفة في التحدث: الاستعداد التصوري والصياغة والمراقبة والنطق.

Abstract :

In this research, we are interested in an educational approach to speaking from a cognitive linguistic perspective. It aims to monitor the cognitive and linguistic processes that the learner of Arabic employs in speaking ability. Its importance lies in standing at the intersection between linguistics and cognitivism to understand the mechanisms that regulate the teaching and learning of speaking. We dedicate the second paragraph to the cognitive processes employed in speaking: conceptual preparation, formulating, monitoring, and articulation.

مقدمة:

يمثل التحدث (speaking) إحدى أهم القدرات التي يتعين أن تحظى بعناية خاصة في تعليم اللغات وتعلمها، سواء بالنسبة إلى اللغة الثانية أو اللغة الأجنبية؛ لأن التحكم فيه يقدم دليلاً على تقدم التعلم، مثلما أن التعثر فيه دليل على صعوبة التعلم ذات الصلة. ويعد من أصعب القدرات (الكتابة والاستماع والكتابة)؛ لأنه مقيد بزمان الإنتاج، ويتطلب تفعيل مجموعة من السيرورات اللسانية والمعرفية والاجتماعية والثقافية. كما أن حاجة متعلم اللغات إليه في التواصل مع المحيط، أكثر من حاجته إلى القدرات الأخرى.

ويبدو أن تعليم التحدث وتعلمه لم يحظ بالأهمية اللازمة في مناهج تعليم اللغة العربية وتعلمها، سواء كلغة ثانية، أو لغة أجنبية. ويرجع السبب إلى سيادة المقاربات القائمة على تعليم القواعد الرامية إلى تجنب المتعلم من الوقوع في اللحن/الخطأ، وإلى افتقار المناهج إلى رؤية واضحة لكيفيات الاشتغال الذهني عند التحدث، وإلى الصعوبات

ذات الصلة بالتحدث، مثل عدم القدرة على التحدث الذاتي، مقارنة بالقراءة والكتابة والاستماع؛ إذ لا بد بالنسبة إلى التحدث من وجود وضعيات وسياقات تتيح التعلم، بينما القراءة أو الكتابة أو الاستماع يمكن تعلّمها ذاتيا دون الحاجة إلى سياقات. يضاف إلى ذلك، الاعتقاد بأن تعلم التحدث تبقى مسألة شخصية، ترتبط بميولات المتعلم واهتماماته، وأن القدرة على التحدث تتحقق عند انتهاء مسار تعليم اللغة العربية وتعلّمها. إن وجود مجموعة من المعايير التي نحكم من خلالها على الإنتاج الشفهي ظلت غامضة، وتنفّر إلى مزيد من التوضيح، مثل الطلاقة، والدقة، والآلية، والارتجالية، مثلما تحتاج إلى ملائمتها وفقا للطرق البيداغوجية المعتمدة في تعليم اللغة العربية؛ لأن عدم معرفة المؤشرات التي يقتضيها كل معيار، من شأنه أن يجعل المدرس بعيدا عن الأهداف المتوخاة من تعليم التحدث. كما أن ارتباط التحدث بسياقات مختلفة، مثل "التحدث أمام العموم"، أو التحدث للتواصل بقصد تحقيق أغراض معينة، أو التحدث لتقديم معلومات، أو الخوض في نقاش موضوع معين، جعل من اكتساب قدرة التحدث موسومة بالغموض، مما انعكس سلبا على بلورة مناهج تدريسيها، وطرق تعليمها داخل الفصول الدراسية. وإلى جانب هذا، يبدو وجود غموض يسم الهدف من تعليم التحدث؛ فهل يُتعلّم التحدث للتعبير عن رأي، أو قصد، أو اعتراض، أو غيرها؟ هذا الاختلاف سينعكس لا محالة على تعليم التحدث وتقويمه، إذا لم تكن مناهج تعليم اللغة العربية واعية به، وتعمل على استثمار مختلف العوامل لتمكين المتعلّم من تطوير قدراته ذات الصلة بالتحدث.

سنحاول في هذا البحث أن نقف عند مفهوم التحدث، وعند علاقته بالاستماع والقراءة والكتابة. كما سنسعى إلى رصد السيورورات المعرفية التي يوظفها متعلم اللغة العربية في الإنتاج الشفهي، من خلال تسليط الضوء على مقارنة ليفلت (Levelt, 1989)، بوصفها إحدى أهم المقاربات التي استقصت الاشتغال المعرفي عند التحدث.

التحدث: مفاهيم ومقاربات معرفية

مفهوم التحدث

يقصد بالتحدث القدرة على الإنتاج اللغوي في سياق تواصلٍ لتحقيق هدف ما. وتتضمن قدرة الإنتاج اللغوي (١) إنتاج سلاسل صوتية تنتظم في وحدات لها معنى بتوظيف سيورورات ذهنية ولسانية، و (٢) مراعاة الهدف من التواصل، و (٣) مراعاة المقتضيات الثقافية والاجتماعية. ويختلف التحدث (speaking) عن المحادثة (conversation)؛ فالأول مشتق من "تحدّث"، أي أنتج ملفوظا، بينما تشتق الثانية من "تحدث"؛ أي تفاعل وتشارك في الحديث. ويعد التحدث قدرة إنتاجية (productive)، مثل الكتابة. وتحدد القدرة الإنتاجية بوصفها صيغة مهمة من صيغ التعبير التي تستخدم لإقناع الآخرين أو إقناعهم، أو لتقاسم الأفكار والمشاعر (جراميلو وميدينا Jaramillo & Medina, 2011). وتختلف عن الاستماع والقراءة بوصفهما قدرتي تلقي

(receptive). ويقترن التحدث والاستماع في كونهما قدرتين توظفان معا في التواصل الشفهي؛ لأن المتحدث مستمع مفترض، مثلما أن المستمع هو متحدث مفترض. وقد يكون التحدث منولوجا يتيح للمتحدث إمكانية التعبير عن ذاته وآرائه، وقد يكون في سياق حوارى بوصفه آلية لتبادل الرأي مع الآخر. وننظر إلى التحدث بوصفه سيرورة مركبة من عدة سيرورات ذهنية وفسولوجية واجتماعية تنطلق من الذهن إلى مراعاة السياقات الاجتماعية مروراً بالجهاز النطقي

مقاربات التحدث

لقد تم تحديد قدرة الإنتاج اللغوي استناداً إلى منظورين: منظور القالبية، والاقترانية؛ فمن منظور القالبية، تحدد قدرة الإنتاج اللغوي بناء على مستوى سلمي؛ إذ يتكلف كل قالب بمهمة مختلفة عن القالب الآخر. وقد حددت في أربعة مكونات: أولاً، المفهمة (conceptualization) التي تتصل بإعداد قصد المتحدث. ثانياً، الصياغة التي ترتبط بتلبس قصد المتحدث بالبنيات التركيبية والصواتية والمعجمية. ثالثاً، النطق (articulation) الذي يتصل بتحويل قصد المتحدث والبنيات اللسانية إلى سلاسل صوتية منطوقة. رابعاً، المراقبة الذاتية (self-monitoring) الذي له علاقة بتوخي ملائمة المنتج اللغوي للقصد، وسلامته اللغوية. أما من منظور الاقترانية، فيفسر التحدث بوصفه تنشيطاً للانتشار (spreading activation). بتعبير آخر، لا تتحقق معالجة المعلومات الذهنية أو اللسانية على نحو سلمي، مثلما في القالبية، وإنما تتحقق بناء على تفاعل أفقي؛ إذ تسمح نماذج تنشيط الانتشار بالتدفق العكسي للتنشيط من مستوى ثانوي إلى المستوى الأعلى، بينما في القالبية، يمكن أن ينتشر التنشيط إلى الأمام فقط. وهذا يعني أنه في نظرية التنشيط المنتشر، في حالة حدوث خطأ في عملية معينة، يتم إصدار إشارة تحذير على الفور، ويتدفق التنشيط صعوداً إلى المستوى الأعلى.

مفاهيم ذات صلة بالتحدث

يضطلع المتحدث بمجموعة من المهام خلال عملية التحدث. وتتمثل في الوعي بمختلف عناصر الوضعية التواصلية، واختيار الموضوع الذي سيشكل مدار التحدث، واختيار البنيات اللسانية من كلمات وجمل. كل هذه المهام تتم في زمن قياسي. وبناء عليه، إن المقاربة المعرفية للتحدث تقتضي الوقوف على مجموعة من المفاهيم والسيرورات التي يضطلع بها الذهن عند التحدث. ومن هذه المفاهيم (أ) الطلاقة (fluency)، و(ب) الدقة (accuracy)، و(ج) التعقيد (comlexity).

(أ) مفهوم الطلاقة

يراد بالطلاقة قدرة المتعلم على توظيف البنيات اللسانية الملائمة للسياق التواصلى في مدة زمنية ملائمة (سيغويتز (Segaowitz, 2000)، "شميدت (Schmidt, 1992: 358)). ويمكن قياس المدة الزمنية الملائمة بواسطة معدل الكلام؛ أي عدد الكلمات المنطوقة/المقاطع؛ أو عدد التوقيات خلال التحدث في الثانية

غريفيتس (Griffiths, 1991a)). لذا، يبدو أن تحقق التحدث الموسوم بالطلاقة يقتضي التوظيف الأمثل لما هو معروف مسبقاً من معلومات ومعارف لغوية وغير لغوية، ولما هو متاح مقدماً من سيرورات معرفية، مثل التنظيم والتخطيط، وغيرهما. وهذا ما يدفعنا إلى الرجوع إلى إحدى النظريات المعرفية الموسومة بنظرية التعلم-المهارة (Skill-learning theory) (ديكيسر (DeKeyser, 2007) التي تميز بين السيرورات المراقبة، والسيرورات الآلية. مثلما تميز بين المعارف التصريحية والإجرائية. وتعتبر هذه النظرية أن المتعلم ينتقل من مرحلة المعارف التصريحية الخاضعة للسيرورات المراقبة إلى مرحلة المعارف الإجرائية التي تكون موسومة بالآلية بضمانة التمرين والممارسة. ولذلك، فإن متعلم التحدث، وفقاً لهذه النظرية، يتعين أن ينتقل من مرحلة تحديث خاضعة للمراقبة إلى مرحلة يكون فيها التحدث آلياً، فتتحقق الطلاقة. في هذا الصدد، يشير ديكيسر (1998) أن هذا الانتقال يتم من خلال التواصل في السياقات الطبيعية، ولا يمكن أن يتحقق في الوضعيات التوصيلية المختلفة. وهو ما يفسر كون البنيات اللسانية التي تُتعلم بشكل معزول لا تكون متاحة في سيرورة التواصل (لايتباون (Lightbown 2008: 27)).

في نفس السياق، توجد مقاربتان لتفسير الطلاقة: (أ) المقاربات القائمة على القاعدة (Rule-based approaches)، و(ب) المقاربات القائمة على الوحدة (item-based approaches). (ب) المقاربات القائمة على الوحدة (item-based approaches) وتقيد المقاربات (أ) أن المتحدث يحقق الطلاقة عندما يقوم بتحويل المعارف التصريحية إلى معارف إجرائية؛ أي تطبيق القاعدة (كان ترفع المبتدأ وتنصب الخبر). في هذا الصدد، أكد أندرسون على ضرورة تفعيل خمسة ميكانيزمات لتطوير الطلاقة: التأليف، والإجرائية، والتعميم، والتمييز والتقوية. يراد بالتأليف الانتقال من الوحدات الصغرى إلى الوحدات الكبرى، مثلما يحصل خلال تخزين رقم هاتف: ٠٦-٠٢-٠٣-٠٤-٠٥-٠٦-٠٢-٠٣-٠٤-٠٥. ويقصد بالإجرائية التخلي عن المعرفة التصريحية لصالح المعرفة الإجرائية. فمثلاً، إن المتعلم الذي يتعلم أن كان تنصب المبتدأ وترفع الخبر لا يمكنه تذكر القاعدة إلا إذا أصبح تطبيق القاعدة آلياً. ويرتبط الميكانيكيزمان السابقان بإحداث تغيير على مستوى كم المعلومات المعالجة، في حين تتصل الميكانيكيزمات الأخرى بتغيير نوعي؛ إذ يتكلف ميكانيكيزم التعميم بتعميم خرج الإجرائية بتوسع نطاق تطبيق المعرفة التصريحية اللازمة للإنتاج، ويضمن تطبيق قواعد الإنتاج في جميع السياقات حيثما تكون مناسبة. ويعني ميكانيكيزم التمييز بتضييق نطاق التطبيق؛ إذ تقيد تطبيق القواعد في السياقات المناسبة. ويهتم ميكانيكيزم التقوية بتعزيز الاختيار الأفضل للقواعد على حساب القواعد الأضعف.

ومن بين التقنيات الموظفة لتطوير الطلاقة، يقترح موريس (Maurice, 1983) تقنية ٢/٣/٤. تتطلب هذه التقنية أن يشغل المتحدث مع مستمع. ويُطلب من المتحدث أن يتحدث لمدة أربع دقائق. ثم يطلع متعلم آخر بدور المتحدث؛ إذ يطلب منه أن يقدم نفس المعلومات التي ذكرها المتحدث الأول لمستمع آخر في مدة ثلاث

دقائق. بعد ذلك، يطلب من متعلّم ثالث أن يتحدث إلى مستمع آخر، أن يقدم نفس المعلومات في دقيقتين.

ب. الدقة

يقصد بالدقة ملائمة البنيات اللسانية من معجم وتركيب وصوارة وعناصر ذريعية للغة موضوع التعلّم. فطرح سؤال الدقة يحيل إلى طرح السؤال الآتي: أي إلى أي حد تعد لغة المتحدث سليمة، سواء من حيث البنيات الداخلية (صوارة، معجم، تركيب، خطاب)، أم من حيث بنياتها الخارجية (المعايير الاجتماعية والثقافية)؟ (إليس، Ellis) (103: 2003). وتكون لغة المتحدث سليمة إذا طبقت المعايير التي يستند إليها الناطق الفطري بالعربية للحكم على نحوية أو لانهوية البنيات الموظفة في التحدث، وكذا المعايير الموظفة للحكم على مراعاة مقتضى الحال، مطابقة النطق، وسلامة الوحدات المعجمية.

(أ). الوحدات المعجمية: يتعين أن تكون مختلف الوحدات المعجمية من مفردات ومتلازمات لفظية وتعبيرات اصطلاحية مطابقة للمعايير التي يستند إليها الناطق الفطري بالعربية خلال التحدث. فالبنسبة للمتلازمات اللفظية، تكون موافقة لتلك التي يوظفها الناطق الفطري بالعربية إذا وفقط إذا كانت المفردات التي تتداعى لدى المتحدث هي نفسها التي تتداعى لدى الناطق الفطري. وبالإطلاع على كتاب فقه اللغة وأسرار العربية، سنجد محاولة رائدة في هذا الباب، ويكفي أن تستوقفنا منها المتلازمات الواردة في شأن خروج الماء وسيلانه من أماكنه، مثلما في البنيات الآتية:

-سحّ الماء من السحاب

-انجس الماء من الصخر

-وكف الماء من السقف

-رشح الماء من الإناء

-تغّ الماء من الجرح

-انسكب الماء من العين (الثعلبي،)

هذه البنيات تبيّن، بما لا يدع مجالا للشك، أن "الماء" يتلازم مع أفعال بعينها عندما تتغير مصادر خروجه. ولذلك، عندما يوظف المتحدث باللغة العربية "رشح الماء من السقف" يكون قد جانب التوظيف الذي يراه الناطق الفطري سليما. ومن ثم، يتعين أن يكون متحدث العربية ممتلكا لوعي بالمتلازمات اللفظية (awareness of collocations)، يمكنه من مطابقة التوظيفات التي يستعملها الناطق الفطري المفترض. ويبقى الوعي بتلازم الأفعال مع الحروف من أعقد ما يسم المتحدث باللغة العربية، بسبب اتصال هذه الأخيرة باللهجات؛ إذ يلاحظ أن توظيف "استند" متلازمة مع "على" أصبح مهيما في العربية المعاصرة، وأن "تعرف" متلازمة مع "على"، رغم أن الفعل "استند" يتلازم مع "إلى"، و"تعرف الشيء" أفصح. ومثل هذه التوظيفات المجانبة للصواب كثيرة في لغة المتداولة.

أما بالنسبة إلى المفردات المعجمية، فيكون المتحدث مطالباً بمراعاة القيود الدلالية لكل مفردة؛ فالفعل سافر-مثلاً- باعتباره فعل حركة، مقيد دلالياً بسمات دلالية، غير تلك التي تقيد أفعال الحركة الأخرى، مثل هاجر ورحل وغادر، وغيرها. ولذلك، سيكون توظيف "سافر" في بنية مثل "سافر عمر من البهو إلى المطبخ" لائحة بسبب خرق القيود الدلالية للفعل. وينطبق هذا الأمر على جميع المقولات من أسماء وأفعال وحروف وصفات وظروف.

(ب). البنيات النحوية: تكون البنيات النحوية سليمة لدى المتحدث بالعربية إذا كانت مختلف البنيات الموظفة مطابقة للقدرة التي يستند إليها الناطق الفطري بالعربية لتوليد البنيات النحوية السليمة

ج. التعقيد

ويرتبط التعقيد بمدى توظيف المتعلم لمعجم وبنيات تركيبية موسومة بالغنى. ويكون المعجم غنياً إذا كان موسوماً بالتنوع، وبالأصالة، وبالكثافة. وتتحقق الكثافة المعجمية عندما تمثل الكلمات ذات المحتوى نسبة أكبر، مقارنة بالكلمات الوظيفية. ويقصد بالكلمات ذات المحتوى الكلمات المملوءة معجمياً، مثل الأسماء والأفعال والصفات والظروف. وتمثل الكلمات الوظيفية الكلمات الخالية من المحتوى المعجمي. وتنقسم إلى صرفيات حرة ومربوطة. وتتضمن الروابط (ثم، الواو، بل)، والمصدريات (هل، كم)، والحدود (ال)، والنفي (لم، لن)، والموجهات (سوف، قد)، وصرفيات الزمن والجهة ولواصق العدد وغيرها. أما بالنسبة للأصالة المعجمية فتكون عندما يوظف المتحدث مفردات معجمية ذات تردد ضعيف؛ أي المفردات غير المتداولة والمألوفة في الخطابات الشفهية والمكتوبة باللغة موضوع التعلم. ويتحقق التنوع إذا كانت نسبة المفردات المختلفة في التحدث مرتفعة في علاقتها بمجموع المفردات الموظفة.

السيرويات المعرفية الموظفة في التحدث

وتعد الخطاطة التي اقترحها ليفلت (Levelt, 1989) أشهر محاولة معرفية لنمذجة العمليات الذهنية التي ينضبط إليها التحدث من الذهن إلى غاية تمظهره في سلاسل صوتية. ويعتبر أن هناك ثلاث سيرويات: (أ) الاستعداد التصوري (conceptual preparation)، و(ب) الصياغة (formulating)، و(ج) المراقبة (Monitoring)، و(د) النطق (articulation).

الاستعداد التصوري

يراد بالاستعداد التصوري السيروية المعرفية التي يتم بموجبها تحويل القصد غير قابل للملاحظة إلى ملفوظ صوتي قابل للملاحظة والتحليل. وتتطلب عملية التحدث من قصد يمتلكه المتحدث، فيقوم باسترجاع المعلومات التي يمكنه التعبير بها عنه من المعجم الذهني. ويسمى القصد رسالة قبل شفوية (preverbal message) (ليفلت، ١٩٩٨). ويحتاج المتحدث إلى مجموعة من المعارف تتمثل أولاً، في المعارف

الإجرائية التي تمكنه من ربط الملفوظ بالقصد، وفقا للمعادلة: إذا كان س (القصد)، فإن ص (الملفوظ). وتسعف هذه المعارف الإجرائية في توليد الملفوظات، ومراقبة ربطها بالقصد المناسب لها. كما يحتاج إلى معارف تصريحية تتمثل في مجموع المعلومات الخاصة بإدراك العالم (المعرفة الموسوعية)، والمعلومات التركيبية والدلالية الخاصة بكل ما هو مخزن من مفردات في المعجم الذهني، ومعلومات حول وضعية التواصل متمثلة في الهدف من التواصل، ومعلومات تخص المتحدث إليه. وتكمن أهمية الاستعداد التصوري في (١) تحديد الأجزاء التصورية التي يتعين ترميزها لسانيا، و(٢) تحويل المعلومات التصورية إلى معلومات قابلة للمعالجة اللسانية وفقا لتخطيطين: التخطيط الأكبر والتخطيط الأصغر. يهتم التخطيط الأكبر (*macroplanning*) ببلورة القصد التواصلية: إخبار، إعتذار، توبيخ، توسل، تنبيه،....، بعد ذلك، يقرر المتحدث استنادا إلى التخطيط الأصغر (*microplanning*) المنظور الذي يحتاجونه في نقل الرسالة؛ أي هل سيحتاج إلى قول: "توجد المزهرة يمين الكتاب"، أو "يوجد الكتاب يسار المزهرة". كما سيحتاج إلى ما يسمى بوضع الولوج (*accessibility status*) (كوموس (Kormos, 2006: 10)) التي يقصد بها الأخذ بعين الاعتبار الأسماء والأشياء والأحداث التي سبقت الإشارة إليها في الخطاب؛ أي هل يمكن التصريح بالاسم (الأم، مثلا)، أو الاكتفاء بذكر الضمير العائد عليها (هي)، بتعبير آخر، يهتم وضع الولوج بتدبير المعلومات السابقة في الرسالة قيد التلفظ. يضاف إلى هذا، أن التخطيط الأصغر يهتم بتحديد المحتوى القضوي للرسالة من خلال تخصيصها ببنية موضوعية، وبنية محورية ملائمتين، ووجه مناسب (تعيين، شرط، أمر، استفهام، تعجب،...)، وزمن يحدد علاقة التلفظ بزمن الحدث، وما إلى ذلك. ويعد خرج التخطيط الأكبر والتخطيط الأصغر رسالة قبل شفوية، لا علاقة لها بما هو لساني، ولكنها تتوفر على جميع الإمكانيات التي تجعلها قابلة لأن تتحول لسانيا.

الصياغة

تفيد سيرورة الصياغة في ربط الرسالة قبل شفوية بالملفوظ الصوتي قبل أن يتلفظ المتحدث؛ أي إن مرحلة الصياغة تقوم على إعداد الملفوظ ليكون قابلا للنطق مطابقا للقصد. وقد سماه ليفلت (1998) الكلام الداخلي (*internal speech*). وتتم صياغة الكلام الداخلي من خلال الترميز التركيبي والمعجمي والصواتي. وتعد هذه المرحلة إنتاجا لسلسلة صوتية مبنية توافق القصد؛ إذ يقوم المتحدث بتنشيط مجموعة من المعلومات التركيبية والصرف-صواتية المخزنة في المعجم الذهني المتعلقة بكل كلمة. ويرتبط استرجاع المعلومات التركيبية بتنشيط ما يسمى (الليمات (*lemmas*))، في حين تسترجع المعلومات الصرف-صواتية بما يسمى المعجميات (*lexemes*)؛ فإذا كان المتحدث بصدد إنتاج "يطارد القط الفأر"، فإن المتحدث يقوم بتنشيط الليمات (القط، الفأر، يطارد). وتتضمن كل ليمة مجموعة من المعلومات الدلالية: [القط؛ حيوان ولود، أربعة أرجل، له فرو، لاحم، مخالب...]، [الفأر؛ حيوان ولود، ذيل طويل، أربعة أرجل،

[...]، [طارده؛ حدث يستدعي س وص/س يجري، وص يتبعه، بهدف الإمساك به؛...]، ومعلومات تركيبية [القط، مذكر، معرف، مفرد، اسم جنس، قابل للعد]، [الفار، مذكر، معرف، مفرد، اسم جنس، قابل للعد]، [يطارد، فعل؛ جهة اللاتمام، زمن حاضر، مبني للمعلوم، متعد]. وتجدر الإشارة إلى كون الصيغة الجديدة لنموذج ليفلت (1999)، تؤكد أن المعلومات الدلالية غير مخزنة في الليمات؛ لأنها تكون مخزنة في المستوى التصوري.

إن خرج الترميز التركيبي يكون بنية سطحية عبارة عن سلسلة من الليمات تتألف من مركبات (ليفلت، ١٩٨٩: ١١). وهي دخل الترميز الصرف-صواتي التي تهتم بتخصيص البنية الصرفية والعروضية للكلمات. ويقصد بالبنية الصرفية الصّرفيات التي تتكون منها الكلمة، وبالبنية العروضية مجموع المقاطع التي تتألف منها الكلمة، وعدد الوقعات، وموضع النبر.

إن دور السيرورة التركيبية يتمثل أساساً في تحويل البنية التصورية إلى بنية تركيبية؛ أي ربط البنية المحورية (منفذ، محور، هدف، مسار، أداة، ...) بالبنية التركيبية (فعل، فاعل، ...). فالبنية (تدحرجت الكرة من الصوان إلى الباب) تتضمن حدثاً (تدحرج)، ومحوراً (الكرة)، ومساراً (من.....إلى)، ومصدراً (الصوان)، وهدفاً (الباب). ويحتاج ربطها أيضاً إلى اشتغال المقولات الوظيفية، مثل الزمن، والجهة، والوجه، والبناء، وغيرها؛ ففي البنية السابقة، زمن ماضٍ، وجهة تمام؛ لأن حدث التدحرج تام، ووجه يتصل بقوة إنجازية تتمثل في التعيين (indicative)، وبناء للفاعل. وهكذا ترتبط مختلف هذه المقولات التركيبية، سواء المعجمية، أو الوظيفية في بنية تركيبية توازي البنية التصورية للمتحدث.

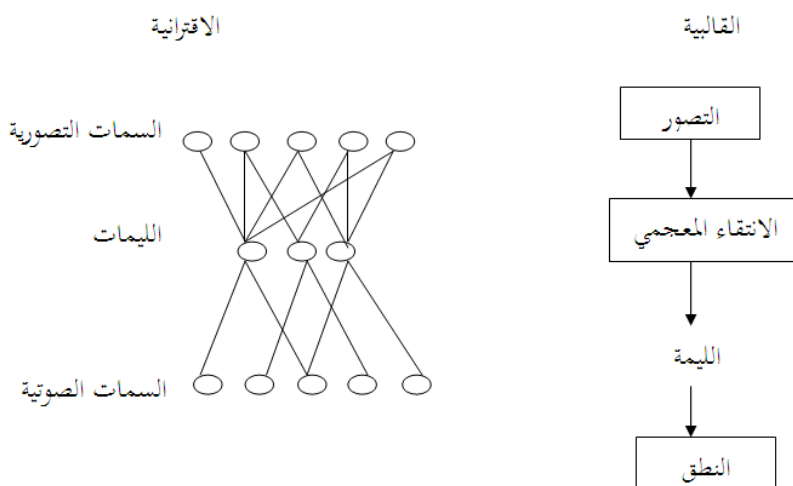
ورغم أن غاريت ((Garrett, 1988)) يؤكد أن السيرورة التركيبية تشتغل بسيرورتين فرعيتين؛ تضطلع الأولى بربط البنية التصورية بالبنية المحورية وتحولها إلى بنية تركيبية، سماها سيرورة المستوى الوظيفي (functional level processing)، وتعنى الثانية بتحويل البنية التركيبية إلى سلسلة خطية يُتاح نطقها، دعاها سيرورة المستوى الموقعي (positional level processing)، فإننا نميل إلى التأكيد على كون السيرورة الثانية منمجة في الأولى؛ إذ في مختلف النماذج التركيبية التي اقترحها تشوسكي تشير إلى "النقل" بوصفه سيرورةً تشتغل ضمن النموذج التركيبي، سواء في النظرية المعيار أو في نظرية الربط والعمل، أو في البرنامج الأدنى. ولهذا، يبدو أن خرج السيرورة التركيبية تتيح التلفظ دون الحاجة إلى اشتغال سيرورة المستوى الموقعي.

أما بالنسبة إلى سيرورة الانتقاء المعجمي، فتوجد نظريتان تفسران كيفية انتقاء الوحدات المعجمية: النظرية القالبية (modular theory)، والنظرية الاقتراعية (connexionism theory). ويكمن الفرق بينهما في كون انتقاء الوحدات المعجمية

يتحقق قبل الترميز الصوتي في النظرية القالبية، ويتزامن مع الترميز الصوتي في الاقترائية.

وتقوم السيرورة الصوتية على مجموعة من السيرورات الفرعية. وهي (أ) السيرورة التطريزية التي تهتم بتنظيم الملفوظات في وحدات تطريزية: الملفوظ الصوتي والمركب التنغمي والمركب الصوتي والكلمة الصوتية والأقدام، والمقاطع، لكي يكون المتحدث قادرا على ترميز الظواهر الصوتية التي لها علاقة بربط الملفوظ بالمعنى؛ مثل النبر والتنغيم والطول. فالملفوظ الصوتي هو أكبر وحدة تطريزية يحتاجها المتحدث لربط الملفوظ بوحدة دلالية تبدأ بوقفة وتنتهي بوقفة (#...#)، مثل [كاتب رواية رباط المتنبي! رجل سياسي. لم يكن محظوظا]. ويتضمن الملفوظ الصوتي مركبا تنغميا على الأقل. وفي المثال السابق، يتكون من ثلاثة مركبات تنغيمية: [كاتب رواية رباط المتنبي]، و[رجل سياسي]، و[لم يكن محظوظا]. ويكون المركب التنغمي من مركب صوتي على الأقل؛ فالمركب التنغمي [كاتب رواية رباط المتنبي]، يتكون من مركبين صوتيين: [كاتب رواية]، و[رباط المتنبي]. ويتكون المركب الصوتي من كلمة صوتية على الأقل. ف[كاتب] كلمة صوتي تندرج تحت المركب الصوتي. وتتألف الكلمة الصوتية من قدم على الأقل، مثل [كا]، و[تب] في الكلمة الصوتية [كاتب]. ويتضمن القدم مقطعا على الأقل.

(ب) السيرورة النطقية: وتعنى بضبط الأصوات لتيسير نطقها. ومنها (١) المماثلة التي تتكلف بنطق الصوت المجاور صوتا مشابها، مثل نطق النون ميما في (من بعد)، ونطق الناء دالا في (ازدهر)، ونطق الناء طاء في (اصطبر). (٢) المخالفة التي تهتم بنطق الصوت المشابه صوتا مخالفا، مثل إبدال النون ياء في (دَنَار) لنتطق (دينار).



المراقبة

تندرج سيرورة المراقبة ضمن السيرورات الميتامعرفية التي تراقب مختلف السيرورات المعرفية المتدخلة في التحدث (تعنى سيرورة المراقبة بوصفها "عيون ذهنية" على حد تعبير بارغ (Berg, 1986: 34) بتعديل الرسالة قبل-شفهية وتصحيحها قبل اشتغال السيرورة النطقية. ويستند افتراض وجود سيرورة المراقبة إلى فرضية التفسير القائم على الفهم (comprehension-based account) المقترحة من قبل ليفلت ورولوفس وميبر (Levelt, Roelofs, and Meyer, 1999)، ورولوفس (Roelofs, 2004). وتفيد هذه الفرضية أن المتحدث يكتشف أخطاءه بتوظيف نسقه الخاص بفهم الكلام. ويتم اكتشاف أخطائه إما قبل النطق باستعمال المنظار الداخلي (internal loop)، أو خلال النطق موظفا المنظار الخارجي (external loop). وقد يوظف المتحدث نسق فهم الكلام الخاص به لمراقبة الأخطاء في الكلام أثناء أو بعد نطقه. وبالمقابل، يُفترض أن اكتشاف الخطأ عند المراقبة الداخلية يعتمد على مقدار الصراع داخل نسق إنتاج الكلام، الذي يتم تقييمه بواسطة القشرة الحزامية الأمامية (cingulate cortex). وهو ما حدا بنوزاري وديل وشوارتز (Nozari, Dell, and Schwartz, 2011) إلى اقتراح فرضية التفسير القائم على الإنتاج (production-based account).

وتعتمد مجموعة من الميكانيزمات:

(١) آلية تعديل التصور الذي يمكن المتحدث من ترميز معلومات جديدة ومختلفة عن تلك التي تكون صياغتها قيد المعالجة. ويلجأ المتحدث إلى هذه الآلية في حالات مختلفة، كأن يقرر التخلي عن المحتوى التصوري نهائيا، والاستعاضة عنه بمحتوى آخر، أو يقرر أن المحتوى التصوري المراد التعبير عنه لا تسعفه قدرته اللسانية في صياغته. كما يمكن أن يحتفظ بالمحتوى التصوري مع ترميزه بشكل مختلف في حالة ما بدا له أن الترميز غير دقيق، أو وُظفت فيه معلومات غامضة وملتبسة تحتاج إلى تحديد وتدقيق (كورموس، ١٢٥). ويُميز عادة بين إعادة التصور الأصغر (microreconceptualization) الذي يلجأ إليه المتعلم لتعديل قطعة في الرسالة قبل-شفهية، سيما عندما تعوزه سيرورة تنشيط بعض الليمات، كأن يستعاض عن "الدغفل" بصغير الفيل، أو يستبدل "جمعا" غير معروف بتوظيف الصنيفة، أو يعوض نوعا بجنس (عندليب/طائر)، وما إلى ذلك. أما إعادة التصور الأكبر (macroreconceptualization) فيلجأ إليه لتعديل أكثر من قطعة، سيما عندما تعوز المتعلم قطعة تدفعه إلى تغيير الرسالة قبل-شفهية برمتها؛ فعندما تعوز متعلم العربية ليمة "وطيبة" في قوله: "يُمخض اللبن في...."، فسيجد نفسه مرغما على إعادة الصياغة للتعبير عن المحتوى التصوري بموارده المتاحة (فارش وكاسبر (Færch & Kasper, 1983).

(٢) آلية التعديل اللساني الذي يسعف المتحدث في تصحيح الأخطاء المتعلقة بانتقاء المفردات المعجمية، والبنىات التركيبية، والأصوات المناسبة.

(٣) إعادة الصياغة (كورموس، ١٩٩٩) التي تختلف عن تصحيح الأخطاء. وتمكن هذه الآلية من تعديل الصياغة، مع الحفاظ على محتوى الرسالة دون تغيير. ويتم توظيفها عندما يكون المتحدث غير متأكد من سلامة كلامه لغويا، مثلما يحصل عند تسكين بعض المفردات التي لا يعرف المتحدث بالعربية أواخرها الإعرابية.

النطق

تعد سيرورة النطق أكثر السيرورات الحركية الأكثر تعقيدا؛ إذ توظف تقريبا ١٠٠ عضلة (ليفلت، ٤١٣). ويتكون الجهاز النطقي عند الإنسان من عدة أعضاء:

(أ) القصبة الهوائية، وفيها يتخذ النفس مجراه قبل اندفاعه إلى الحنجرة. (ب) وتعد العضو الأساس للصوت الإنساني؛ لأنها تتضمن الوترين الصوتيين، وهي حجرة تتألف من ثلاثة غضاريف الأول علوي ناقص الاستدارة من الخلف عريض وبارز (تفاحة آدم)، والثاني كامل الاستدارة، والثالث مؤلف من قطعتين توجدان فوق الغضروف الثاني. أما بالنسبة إلى الوترين الصوتيين، فهما عبارة عن شفتين صغيرتين تمتدان من الخلف إلى الأمام، وتلتقيان عند الغضروف الأعلى (تفاحة آدم). ويسمى الفراغ الذي يوجد بينهما مزمارا. (ج) الحلق، وهو الجزء الذي يوجد بين الحنجرة والفم. ويضطلع بوظيفتين: مخرج لبعض الأصوات، وتضخيم أصوات أخرى صادرة من الحنجرة؛ لأنه عبارة عن فراغ رنان. (د) اللسان، وهو عضو مرن يتحرك في الفم. وينقسم إلى ثلاث مناطق: طرف اللسان ووسطه وأقصاه. (هـ) الحنك الأعلى، وهو العضو الذي يتصل به اللسان في أوضاعه المختلفة. وفي اتصال اللسان بمختلف مناطق الحنك الأعلى مخارج أصوات. (و) الفراغ الأنفي، هو العضو الذي يندفع خلاله النفس مع بعض الأصوات، مثل النون والميم، مثلما يضطلع بتضخيم بعض الأصوات. (ي) الشفتان اللتان تنفرجان وتنطبقان وتستديران عند نطق بعض الأصوات. (س) الرتتان، وهما العضوان اللذان يضطلعان بعملية التنفس الذي لا يمكن تصور النطق بدونهما (أنيس، ١٧، ١٩٦٥): - (١٩).

يمكن، أثناء عملية النطق، التمييز بين الأصوات المجهورة والمهموسة؛ فالمجهورة هي تلك الأصوات التي تنتج عن اهتزاز الوترين الصوتيين. ويمكن اختبارها بوضع الأصبع على تفاحة آدم، وهي (ب، ج، د، ز، ض، ظ، ع، غ، ل، م، ن، و، ي). أما المهموسة، فهي (ت، ث، ح، خ، س، ش، ص، ط، ف، ق، هـ، ك). ونشير في هذا الصدد إلى وجود أصوات مجهورة في العربية تقابلها أصوات مهموسة، وهناك أصوات مجهورة لا تقابلها أصوات مهموسة، مثلما هناك أصوات مجهورة لا توجد مقابلاتها المهموسة، كما يأتي:

-الأصوات المجهورة: ب-د-ز-ض-ع-غ-
-الأصوات المهموسة المقابلة لها: ت-ث-س-ط-ح-خ

-الأصوات المجهورة بدون مقابلات مهموسة:ب-ج-ر-ظل-م-ن-

-الأصوات المهموسة بدون مقابلات مجهورة:ش-ص-ف-ق-ك-ه-

كما يمكن التمييز بين الأصوات الموسومة بالشدة والأصوات الرخوة؛ فالأولى يراد بها الأصوات التي تصدر عن الجهاز النطقي في حالة انحباس النفس في موضع معين منه، شأن (ب،ت،ط،د،ر،ض،ق،ك،ج). أما الأصوات الرخوة فهي الأصوات الصادرة عنه وهو في حالة عدم انحباس مجرى النفس في موضع من الجهاز النطقي، شأن (س،ش،ز،ف،ه،ح،خ،ع،ث،ذ،ظ).. وهناك أصوات بين الانفجارية والرخوة، وهي (ل،م،ن،ر). هذه الأصوات، رغم انسداد مجرى النفس، يبقى هناك مسرب يترك المجال لخروج النفس خلال النطق. وتسمى الحروف المائعة.

ويمكن أيضا التمييز بين الأصوات الساكنة وأصوات اللين؛ فالأولى تحدث عندما يحصل اعتراض لمجرى النفس، بينما تكون هناك موانع عند نطق الأصوات الساكنة، بحيث ينحبس النفس انحباسا تاما، مثل الأصوات الانفجارية، أو انحباسا ناقصا، مثل الصفيريات.

أما بالنسبة لمخارج الأصوات، فيمكن تصنيفها إلى:

(أ) أصوات شفوية، وهي الأصوات التي يتحقق نطقها عند الشفتين؛ ففي حالة الصوت "ب"، يخرج النفس من الرئتين، ويعبر الحنجرة، والفم، ثم ينحبس عند الشفتين. ولذلك، يعد هذا الصوت مجهورا لاهتزاز الوترين، وشديد لضيق مجرى النفس، وشفوي، لانحباس مجرى الهواء في الشفتين، وانفراجهما عند نطقه. وفي حالة الصوت "م"، يخرج النفس من الرئتين، ويعبر الحنجرة ليذبذب الوترين الصوتيين، وعند وصوله إلى الفم هبط إلى أقصى الحنك، فسد مجرى الفم، اتخذ الهواء مجرى الأنف، فتتطبق الشفتان. ولذلك، يعد صوت "م" صوتا شفويا مجهورا بين الشدة والرخاوة.

(ب) الأصوات الشفوية الأسنانية؛ تحدث باندفاع الهواء من الرئتين ليمر من الحنجرة دون إحداث اهتزاز الوترين (مهموس)، ويتدفق الهواء إلى الحلق والفم ليصل إلى المخرج وهو بين الشفة السفلى والثنايا العليا.

(ج) أصوات من طرف اللسان والثنايا العليا، وهي أصوات تحدث بفعل اندفاع الهواء من الرئتين، لتعبر الحنجرة، سواء أحدثت اهتزازا للوترين الصوتيين (مجهورة)، أم لم تحدثه (مهموسة). وتنقسم إلى أربع مجموعات: المجموعة الأولى "الثوية" (ذ،ث،ظ)، والمجموعة الثانية (د،ض،ت،ط)، والمجموعة الثالثة "ذلقية" (ر،ل،ن)، والمجموعة الرابعة (س،ز،ص).

(د) أصوات وسط الحنك، وهي (ش،ج).

(ه) أصوات أقصى الحنك، وهي (ك،ق)، بحيث يندفع الهواء من الرئتين، ويمر من الحنجرة دون إحداث اهتزاز للوترين، ويمر من الحلق والحنجرة، ليصل إلى أقصى الفم؛ إذ ينحبس الهواء بفعل اتصال اللسان بوسط الحنك.

(و) أصوات حلقيّة، وهي (ح،خ،ع،غ،ه،ء).

خاتمة

حاولنا في هذا البحث أن نقف عند بعض قضايا ديداكتيك التحدث من خلال رصد السيرورات اللسانية والمعرفية الموظفة في هذه القدرة. وقد اقتضى هذا الرصد تقسيم البحث إلى فقرتين. تناولنا مفهوم التحدث والطلاقة والدقة والتعقيد في الفقرة الأولى، وخصصنا الفقرة الثانية للسيرورات المعرفية الموظفة في التحدث انطلاقاً من الاستعداد التصوري ومروراً بالصياغة والمراقبة، ووصولاً إلى النطق. وبما أن هدف البحث تمثل منذ البداية في تتبع قدرة التحدث من بداية نشوئها إلى تحققها، فإنه تم اعتماد تصور لبفلت، بوصفه أحد أهم التصورات السيكلسانية التي استطاعت أن تقيم تفسيراً لهذا المسار المعرفي الذي يوطر قدرة التحدث.

وبناء عليه، يوصي البحث بما يلي:

- ضرورة اعتماد خلفية نظرية واضحة في بناء مناهج تطوير قدرة التحدث؛
- ضرورة تأطير تقييم قدرة التحدث بمختلف المفاهيم ذات الصلة: الطلاقة والدقة والتعقيد.

المراجع

أنيس، إبراهيم. (١٩٦٥). الأصوات اللغوية، الطبعة الخامسة، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر.
الثعالبي، أبو منصور. (٢٠٠٠). فقه اللغة وأسرار العربية، الطبعة الثانية، المكتبة العصرية.

Anderson, J. R. (1983). *The architecture of cognition*. Cambridge, MA: Harvard University Press.

DeKeyser, R. (1998). Beyond focus on form: cognitive perspectives on learning and practicing second language grammar in Doughty, C. and J. Williams (eds.): *Focus on Form in Classroom Second Language Acquisition*. Cambridge: Cambridge University Press.

DeKeyser, R. (2007). Introduction: situating the concept of practice in DeKeyser, R (ed.): *Practice in a Second Language*. Cambridge: Cambridge University Press.

Ellis, R. (2003). *Task-Based Language Learning and Teaching*. Oxford: Oxford University Press.

Færch, C., & Kasper, G. (1983). Plans and strategies in foreign language communication. In C. Færch & G. Kasper (Eds.), *Strategies in interlanguage communication* (pp. 20–60). London: Longman.

Griffiths, R. (1991a). Language classroom speech rates: a descriptive study. *TESOL Quarterly*, 25, 1: 189–194.

Jaramillo & Medina. (2011). Adolescents Awareness of Environmental Care: Experiences when Writing Short Descriptive Texts in English. *PROFILE*, Vol. 13, No. 1, 11-30

Kormos, J.(2006).*Speech production and second language acquisition*, Library of Congress Cataloging-in-Publication Data

Leveh, W. J. M. (1989). *Speaking: From intention to articulation*. Cambridge, MA: MIT Press.

Levelt, W.J.M. (1992). Accessing words in speech production: Stages, processes and representations. *Cognition*, 42, 1-22.

- Levelt, W. J. M., Roelofs, A., & Meyer, A. S. (1999). A theory of lexical access in speech production. *Behavioral and Brain Sciences*, 22, 1–38. DOI: <https://doi.org/10.1017/S0140525X99001776>
- Lightbown, P.(2008). Transfer appropriate processing as a model for classroom second language acquisition in Han, Z. (ed): *Understanding Second Language Process*. Clevedon: Multilingual Matters.
- Maurice, K. (1983). The fluency workshop. *TESOL Newsletter* 17, 4: 29.
- Roelofs, A. (2004). Error biases in spoken word planning and monitoring by aphasic and nonaphasic speakers: Comment on Rapp and Goldrick (2000). *Psychological Review*, 111, 561–572. DOI: <https://doi.org/10.1037/0033-295X.111.2.561>
- Segaowitz, N. (2000). Automacity and Attentional Skill in Fluent Performance. In H. Riggenbach (Ed.). *Perspectives on Fluency*, (Pp: 200-219). Michigan: the University of Michigan Press.
- Schmidt, R.W. (1992). Psychological mechanisms underlying second language fluency. *SSLA*, 14: 357–385.



تنمية الوقف - دراسة موضوعية على ضوء التجربة المغربية
Waqf Development - Objective study in the light of the
Moroccan experience

إعداد

محمد أكرت

Mohamed Akrt

جامعة عبد المالك السعدي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تطوان. المغرب

Doi: 10.21608/jnal.2022.249289

٢٠٢٢ / ٤ / ٢٦	استلام البحث
٢٠٢٢ / ٥ / ١٠	قبول النشر

أكرت ، محمد (٢٠٢٢). تنمية الوقف - دراسة موضوعية على ضوء التجربة المغربية. *مجلة الناطقين بغير اللغة العربية* ، المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب، مصر، مج(٥)، ع(١٤)، ص ص ٦٣ - ٩٢.

تنمية الوقف - دراسة موضوعية على ضوء التجربة المغربية

المستخلص :

يهدف البحث إلى بلورة رؤية واضحة حول استثمار الوقف، والحفاظ عليه انطلاقاً من استنطاق سنة النبي صلى الله عليه وسلم حيث تطرقت إلى تحقيق القول في مسألة تنمية الوقف ومدى مشروعيته وفائدته في تحقيق ديمومة الوقف ومصالح الموقوف عليه، مع استحضار التجربة المغربية في ذلك وقد حاولت أن أعرف بأهم الجهود التي أنجزت في سبيل تنمية الوقف واستثماره ونشر الوعي بين المسلمين بفضل الوقف وفوائده وأبعاده، والدور الكبير الذي قام به في بناء الحضارة الإسلامية، وتوفير الرعاية الاجتماعية والصحية للمسلمين، وفي النهوض بالتعليم ورعاية العلماء وطلاب العلم، والجهود التي بذلت وتبذل في سبيل تطوير نظم الأوقاف وأساليب إدارتها واستثمار أموالها. فالتنمية الشاملة التي تنشدها الأمة الإسلامية لا يمكن أن تتجج إلا إذا نشرت الوعي بين شعوبها بأهمية الوقف على الأعمال الخيرية والاجتماعية، وأفسحت المجال للمجتمع ولأهل الخير لتحمل جزء من أعباء الخدمات الاجتماعية.

الكلمات المفتاحية: الوقف - التنمية - الاستثمار - السنة النبوية - التجربة المغربية

Abstract:

The research aims to develop a clear vision about the investment of the Waqf, and to preserve it based on the question of the Year of the Prophet (peace be upon him), where I touched on the realization of the issue of the development of the Waqf and the extent of its legitimacy and its usefulness in achieving the permanence of the waqf and the interests of the detainee, while recalling the Moroccan experience in this, and I tried to know the most important efforts that have been made in order to develop the waqf and invest it and spread awareness among Muslims thanks to the waqf and its benefits and dimensions, and the great role it has played in building Islamic civilization, Providing social and health care to Muslims, promoting education and caring for scientists and students of science, and efforts to develop endowment systems, management methods and investment of their funds. The comprehensive development sought by the Islamic nation can succeed if it raises awareness among its peoples of the importance

of stopping charitable and social work and allows society and good people to bear part of the burden of social services.

Keywords : Waqf - Development - Investment - Prophetic Year - Moroccan Experience

مقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم.. الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه الطيبين، وبعد:

فإن الوقف من القربات التي شرعها الإسلام، وطبقها المسلمون من عهد النبوة إلى يومنا هذا، ولا زال الوقف يعمل به في كل المجالات وفي شتى المناسبات.

مشكلة البحث:

فإن الدارس للحضارة الإسلامية يقف معجباً كل الإعجاب بدور الأوقاف في المساهمة في صناعة الحضارة الإسلامية والنهضة الشاملة للأمة، وأن من يقرأ تأريخ الوقف ليجد أنه شمل مختلف جوانب الحياة من الجامعات والمستشفيات إلى الأوقاف الخاصة بالحيوانات (مثل خيول الجهاد) التي لم تعد صالحة للاستعمال فحينئذ تُحال إلى المعاش وتصرف لها أعلافها وما تحتاج إليه من هذه الأوقاف... إلى الأوقاف على الأواني التي تنكسر بأيدي الخادmates حتى لا تعاقب فيجند بدائل عنها في مؤسسات الوقف. لذلك فإعادة دور الوقف تعني إعادة دور كبير للجانب الطوعي المؤسس لخدمة الحضارة والتقدم ولخدمة تنمية المجتمع وتطويره.

هذا البحث مساهمة متواضعة في بلورة رؤية واضحة حول استثمار الوقف، والحفاظ عليه انطلاقاً من استنطاق سنة النبي صلى الله عليه وسلم حيث تطرقت إلى تحقيق القول في مسألة تنمية الوقف ومدى مشروعيته وفائدته في تحقيق ديمومة الوقف ومصالح الموقوف عليه.

الدراسات السابقة:

تناول مجموعة من الباحثين موضوع تنمية الوقف، ومن الدراسات التي وقفت عليها: -استثمار الوقف وطرقه القديمة والحديثة، للدكتور د. علي محبي الدين القره داغي الذي حاول من خلاله التطرق إلى التعريف بالاستثمار في اللغة، أو الاصطلاح، وحكم الاستثمار، ثم قام بالربط بين الوقف والاستثمار واستثمار موارد الوقف وطرقه القديمة ووسائله المعاصرة.

-ولنفس الدكتور أيضاً بحث بعنوان: تنمية موارد الوقف والحفاظ عليها (دراسة فقهية مقارنة) ضمن مجلة أوقاف الكويتية العدد السابع، السنة الرابعة-١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤ م.
- نظام الوقف الإسلامي؛ تطوير أساليب العمل وتحليل نتائج بعض الدراسات الحديثة للدكتور أحمد

أبو زيد تحدث فيه على تطوير نظام الوقف الإسلامي، لاستخلاص نتائج الجهود والدراسات والاستفادة منها في وضع استراتيجية عامة للتعاون بين البلدان الإسلامية في هذا المجال الحيوي المهم.

- الوقف الإسلامي؛ تطوره، إدارته، تنميته. للدكتور منذر قحف حيث يعرض الكتاب مسألة الوقف الإسلامي في إطار المجتمع الحديث قسمه صاحبه إلى أربعة أبواب، تضم ثلاثة وعشرين فصلاً.

المنهج المعتمد:

اعتمدت في البحث على المنهج الاستقرائي في تتبع أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم المتعلقة بالصدقات والوقف والمنهج التحليلي للوقوف على معاني الأحاديث ومحاولة استنتاجها لإدراك روح الوقف ومعناه.

- بخصوص الأحاديث اكتفيت بذكر المصدر والكتاب والباب دون رقم الحديث لاختلاف الرقم بين الطبقات.

- عرفت ببعض الأعلام حسب ما يقتضيه المقام، كما شرحت بعض غريب الحديث.

- رتبت المصادر والمراجع ألفبائياً، باستثناء القرآن الكريم الذي جعلته متصديراً للقائمة.

خطة البحث:

جاء البحث في مقدمة وتمهيد ومبحثين.

- في المقدمة أشرت إلى أهمية الموضوع وإشكالية البحث كما قدمت بعض الدراسات السابقة التي تحدثت عن الموضوع والمنهجية المعتمدة في البحث والخطة المتبعة.

- أما التمهيد فتناولت فيه مفهوم الوقف وبيّنت مشروعيته من خلال القرآن والسنة والإجماع وذلك في مطلبين اثنين.

- في المبحث الأول والذي جاء في مطلبين اثنين كذلك فعرفت فيه بمصطلحات التنمية والاستثمار ووقفت على تنمية الوقف واستثماره من خلال ما توفر لدي من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم.

- وفي المبحث الثاني وهو الآخر جاء في مطلبين اثنين فتحدثت عن آفاق تنمية الوقف في العصر الحاضر كما تطرقت للحديث التجربة المغربية في هذا المجال.

- ختمت البحث بخاتمة جمعت فيها أهم الخلاصات والنتائج والتوصيات التي رأيتها مهمة وتفتح آفاق جديدة للبحث في هذا الموضوع.

المبحث الأول: مفهوم الوقف وبيان مشروعيته:

المطلب الأول تعريف الوقف.

١- الوقف لغة:

الوقف والتَّحْبِيس والتَّسْبِيل بمعنى واحد، وهو لغة: الحبس والمنع^١ يقال: وقفت كذا أي حبسته، ولا يقال: أوقفته إلا في لغة تميمية وهي رديئة وعليها العامة وهي بمعنى سكت وأمسك وأقلع^٢.

ومنه الموقف لأن الناس يوقفون أي يحبسون للحساب^٣.
والفقهاء يُعبرون بالوقف وأحياناً بالحبس أو التحبيس إلا أن التعبير بالوقف عندهم أقوى.

وجمع الحبس حُبُس - بضم الباء-، وأحبس بالألف أكثر استعمالاً من حبس عكس وقف، فالأولى فصيحة، والثانية رديئة.

واحتبست فرساً في سبيل الله أي: وقفت، فهو محتبس وحبس، والحبس بالضم ما وقف؛ والحبس: فعيل بمعنى مفعول أي محبوس على ما قصد له، لا يجوز التصرف فيه لغير ما صير له^٤.

واشتهر إطلاق كلمة الوقف على اسم المفعول وهو الموقوف، ويعبر عن الوقف بالحبس، ويقال في المغرب: وزير الأوقاف.

٢- تعريف الوقف عند الفقهاء:

تعددت تعريفات الفقهاء للوقف نظراً لاختلافهم في العين الموقوفة هل تنتقل إلى ملك الموقوف عليه أو إلى ملك الله تعالى، أو تبقى على ملك الواقف؟
مذهب المالكية:

قال ابن قاسم في شرح حدود ابن عرفة:

"الفقهاء بعضهم يعبر بالحبس وبعضهم يعبر بالوقف، والوقف عندهم أقوى في التحبيس"، ثم نقل عن ابن عرفة أنه حدّه بقوله: "إعطاء منفعة شيء مدة وجوده، لازماً بقاؤه في ملك معطيه ولو تقديراً"^٥.

١ مادة : وقف. ابن منظور. لسان العرب، وتهذيب الأسماء واللغات: ١٩٤/٣.

٢ مادة وقف. الفيروز آبادي. القاموس المحيط.

٣ الطرابلسي. الإسعاف في أحكام الأوقاف ص/٣.

٤ مادة حبس. الجوهري. الصحاح

٥ مادة حبس. القاموس المحيط ٢/٢٠٥، لسان العرب ٢/٧٥٢.

٦ أبو عبد الله، الرصاص التونسي المالكي (المتوفى: ٨٩٤هـ). الهداية الكافية الشافية لبيان حقائق الإمام ابن عرفة الوافية، (شرح حدود ابن عرفة للرصاص). الناشر: المكتبة العلمية. الطبعة: الأولى، ١٣٥٠هـ. ص ٤١٠.

ومن خلال هذا التعريف يتضح بأن المالكية لا يخرجون العين الموقوفة عن ملك الوقف كلية بل تبقى على ملكه ولو تقديراً.
ويضيفون عنصراً آخر هو أن للوقف أن يحبس ماله مدة زمنية يعينها.
ومعنى ذلك أنهم لا يوجبون أن يكون الوقف على التأبيد.
مذهب الأحناف:

قال إبراهيم الطرابلسي الحنفي في الإسعاف في أحكام الأوقاف: ٧
"وفي الشرع هو حبس العين على حكم ملك الوقف، أو عن التملك والتصدق بالمنفعة على اختلاف الرأيين وسنبينه"، ثم قال: "وهو جائز عند علمائنا أبي حنيفة وأصحابه رحمهم الله"، ثم ذكر بأن ما نسب إلى أبي حنيفة من منع فهو محمول على منع اللزوم به، لا على منع أصله، فقال: "والصحيح أنه جائز عند الكل وإنما الخلاف بينهم في اللزوم وعدمه".

وعلى التعريف يكون العقد غير لازم ويصح الرجوع عنه مع الكراهة، ويؤثر عنه، ولا يكون لازماً إلا بقيددين: إذا أوصى بأن يكون ملكه وفقاً بعد مماته - مآلاً -، أو حكم القاضي ببينة على ذلك كما قال الطرابلسي في الإسعاف.
مذهب الشافعية:

في مذهب الشافعية قالوا في حذّه: "وشرعا حبس مال يمكن الانتفاع به مع بقاء عينه بقطع التصرف في رقبته على مصرف مباح" ٨.
مذهب الحنابلة:

حذّ الحنابلة للوقف وقالوا فيه: "هو تحبّس مالك مطلق التصرف، ماله المنتفع به مع بقاء عينه بقطع تصرف الواقعة وغيره في رقبته يصرف ريعه إلى جهة بر تقرباً إلى الله تعالى" ٩.

وإذا نظرنا إلى هذه التعريفات وجدنا أنها متقاربة، بالنظر إلى جوهر حقيقة الوقف، وهي تحبّس العين على وجه من وجوه الخير، ومنع التصرف فيها من قبل المالك، ومن قبل الموقوف عليه معاً. وإنما تستفيد الجهة أو الجهات الموقوف عليها من منافعها. وإنما اختلفت تعريفات الفقهاء تبعاً لاختلافهم في بعض الأحكام والتفريعات الجزئية.

٧ إبراهيم بن موسى بن أبي بكر ابن الشيخ علي الطرابلسي، الحنفي (المتوفى: ٩٢٢هـ). الإسعاف في أحكام الأوقاف، الناشر: طبع بمطبعة هندية بشارع المهدي بالأوزبكية بمصر المحمية الطبعة: الثانية، ١٣٢٠ هـ - ١٩٠٢ م. ص/٣.

٨ زين الدين أبو يحيى السنيكي زكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري، (المتوفى: ٩٢٦هـ). أسنى المطالب شرح روض الطالب. عدد الأجزاء: ٤ الناشر: دار الكتاب الإسلامي الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ (٤٥٧/٢).

٩ موسى بن أحمد بن موسى بن سالم بن عيسى بن سالم الحجواي المقدسي، ثم الصالحي، شرف الدين، أبو النجا (المتوفى: ٩٦٨هـ). الإقناع في فقه الإمام أحمد بن حنبل. المحقق: عبد اللطيف محمد موسى السبكي الناشر: دار المعرفة بيروت - لبنان. (٢/٣).

واختار بعض الفقهاء تعريف الوقف بقوله " حبس العين على ملك الواقف والتصدق بالمنفعة وعندهما حبس العين على ملك الله تعالى فيزول ملك الواقف عنه إلى الله تعالى على وجه تعود منفعته إلى العباد." ١٠ .

فصرح بأن الوقف يكون على ملكية الله تعالى، انسجاماً مع حقيقة الملكية في الإسلام، فالمالك الحقيقي للمال في الإسلام، هو الله تعالى، وأما ملكية العباد فهي مجازية، ووقف المال في سبيل الله يعني، أن الواقف يرد ملكيته إلى المالك الحقيقي، ويجعل منافعه في سبيل الله، لا يبيع ولا يوهب ولا يورث.

المطلب الثاني مشروعية الوقف:

لا خلاف في مشروعية الوقف، وأنه مسنون، ومن القرب المندوب إليها، بدليل القرآن والسنة والإجماع.

قال تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ) [يس: ١٢]، وهذه الآية مكية عند العلماء، وفيها إشارة للحث على الوقف وترك الآثار الحسنة للمرء حتى يجد ثوابها عند الله تعالى، والشاهد في قوله تعالى (وَآثَارَهُمْ)، فإنها شاملة للخطي وآثار الأجل، كما أنها مشتملة على كل ما يُخلفه الأموات من آثار لأعمالهم، كما قال الشيخ الشنقيطي في أضواء البيان عند تفسيره للآية: "واعلم أن قوله: وآثارهم، فيه وجهان من التفسير معروفان عند العلماء،

الأول منهما: أن معنى ما قدموا: ما باثروا فعله في حياتهم، وأن معنى آثارهم هو ما سنوه في الإسلام من سنة حسنة أو سيئة، فهو من آثارهم التي يعمل بها بعدهم.

الثاني: أن معنى آثارهم: خطابهم إلى المساجد ونحوها من فعل الخير، وكذلك خطابهم إلى الشر ١١.

الحديث الأول:

وعند مسلم في صحيحه قال: حدثنا يحيى بن أيوب، وقتيبة يعني ابن سعيد، وابن حجر، قالوا: حدثنا إسماعيل هو ابن جعفر، عن العلاء، عن أبيه، عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: " إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له " ١٢ .

١٠ محمد عميم الإحسان المجددي البركتي. التعريفات الفقهية، ص ٢٣٩. الناشر: دار الكتب العلمية (إعادة صف للطبعة القديمة في باكستان ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م) الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م

١١ محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣ هـ). أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان عام النشر: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.

١٢ مسلم بن الحجاج. صحيح مسلم، كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته.

الحديث الثاني:

وخرج ابن خزيمة في صحيحه من طريق مرزوق بن الهذيل - وفيه لين - نا الزهري ثني أبو عبد الله الأغر عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علما علمه ونشره، أو ولدا صالحا تركه، أو مسجدا بناه، أو بيتا لابن السبيل بناه، أو نهرا كراه، أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته، تلحقه من بعد موته" ١٣.

وهذه الأمور المذكورات يُستفاد منها أنّ الوقف يكون في كل ما تبقى عينه، كبناء البيوت والفنادق والمساجد، أو شق الأنهار وحفر الآبار، وكتب العلم وسائر الصدقات الجارية، وكلها تدرج ضمن الثلاثة المذكورة في حديث مسلم السابق

الحديث الثالث:

و عن ابن عمر رضي الله عنهما: (أن عمر بن الخطاب أصاب أرضا بخير) ١٤ (من يهود بني حارثة) ١٥ (يقال له: ثمغ - وكان نخلا -) ١٦ (فأتى النبي صلى الله عليه وسلم يستأمره فيها، فقال: يا رسول الله، إني أصبت أرضا بخير، لم أصب مالا قط) ١٧ (أحب إلي ولا أنفس عندي منها) ١٨ (وإني قد أردت أن أتقرب بها إلى الله عز وجل) ١٩ (فما تأمر فيها؟) ٢٠ (قال: " إن شئت حبست أصلها وتصدقت بها وفي رواية: (احبس أصلها وسبل ثمرتها " ٢١ قال: فتصدق بها عمر أنه لا يباع

١٣ صحيح ابن خزيمة كتاب الزكاة باب حبس آبار المياه على الأغنياء والفُقراء وابن السبيل.

١٤ صحيح البخاري، كتاب الشروط، باب الشروط في الوقف. وصحيح مسلم كتاب الوصية باب الوقف.

١٥ مسند الإمام أحمد. مسد عبد الله بن عمر بن الخطاب. وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح.

١٦ صحيح البخاري، كتاب الوصايا. باب وما للوصي أن يعمل في مال اليتيم وما يأكل منه بقدر عمله.

١٧ صحيح البخاري، كتاب الشروط، باب الشروط في الوقف. وكتاب الوصايا، باب الوقف كيف يكتب؟ وفي كتاب الأيمان والنذور. باب هل يدخل في الأيمان والنذور الأرض، والغنم، والزروع، والأمتعة. وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الوصية، باب الوقف.

١٨ صحيح مسلم كتاب الوصية باب الوقف.

١٩ صحيح البخاري كتاب الشروط باب الشروط في الوقف. ومسلم في كتاب الوصية باب الوقف. والسنن الصغرى للنسائي. كتاب الأحباس. باب حبس المشاع.

٢٠ السنن الصغرى للنسائي، كتاب الأحباس، باب الأحباس كيف يكتب الحبس، وذكر الاختلاف على ابن عوف في خبر ابن عمر فيه.

٢١ سنن ابن ماجة كتاب الصدقات، باب من الوقف. والسنن الصغرى للنسائي كتاب الأحباس، باب الأحباس كيف يكتب الحبس، وذكر الاختلاف على ابن عوف في خبر ابن عمر فيه. وأخرجه ابن خزيمة في صحيحه كتاب الزكاة المختصر من المختصر من المسند على الشريطة التي ذكرتها في أول الكتاب، باب ذكر أول صدقة حبسة تُصدق بها في الإسلام «واشترط

أصلها، ولا يبتاع، ولا يورث ، ولا يوهب) ٢٢ (وتصدق بها في الفقراء، وفي القربى، وفي الرقاب، وفي سبيل الله وابن السبيل، والضيف) ٢٣ و (لا جناح على من وليها أن يأكل منها بالمعروف، أو يطعم) ٢٤ (صديقه غير متمول ٢٥ ما) ٢٦ (ثم أوصى به عمر إلى حفصة بنت عمر ك ثم إلى الأكبر من آل عمر) ٢٧ (قال حماد: فزعم عمرو بن دينار أن عبد الله بن عمر كان يهدي إلى عبد الله بن صفوان منه ، قال: فتصدقت حفصة بأرض لها على ذلك ، وتصدق ابن عمر بأرض له على ذلك ، ووليتها حفصة) ٢٨ .

الحديث الرابع:

و عن يحيى بن سعيد، عن صدقة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال: نسخها لي عبد الحميد بن عبد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما كتب عبد الله عمر في ثمغ، فقص من خبره نحو حديث نافع، قال: " غير متأثل مالا، فما عفا عنه من ثمره فهو للسائل والمحروم ، قال: وساق القصة ، قال: وإن شاء ولي ثمغ اشتري من ثمره رقيقا لعمله ، وكتب معيقب، وشهد عبد الله بن الأرقم: بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أوصى به عبد الله عمر ، أمير المؤمنين إن حدث به حدث أن ثمغا وصرمة بن الأكوع ، والعبد الذي فيه ، والمائة سهم التي بخير ، ورقيقه الذي فيه، والمائة التي أطعمه محمد - رضي الله عنه - بالوادي ، تليه حفصة ما عاشت، ثم يليه ذو الرأي من أهلها، أن لا يباع ولا يشتري ، ينفقه حيث رأى من السائل

الْمُتَصَدِّقُ صَدَقَةَ الْمُحْرَمَةِ حَبَسَ أَصُولَ الصَّدَقَةِ وَالْمَنْعُ مِنْ بَيْعِ رِقَابِهَا وَهَيْبَتِهَا وَتَوْرِيثِهَا، وَتَسْبِيلِ مَنَافِعِهَا وَغَلَاتِهَا عَلَى الْفُقَرَاءِ وَالْقُرْبَى وَالرَّقَابِ، وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَابْنِ السَّبِيلِ وَالضَّعِيفِ».

٢٢ صحيح البخاري كتاب الوصية باب الوقف كيف يكتب؟ ورواه مسلم في كتاب الوصية باب الوقف.

٢٣ صحيح البخاري، كتاب الشروط باب الشروط في الوقف. ومسلم في كتاب الوصية باب الوقف.

٢٤ صحيح البخاري، كتاب الشروط باب الشروط في الوقف. وفي كتاب الوصايا باب كيف يكتب الوقف؟ وأخرجه مسلم في كتاب الوصية باب الوقف.

٢٥ التمول: هو من يتخذ المال أكثر من حاجته وقيل ليتجر فيه، والتأثل: اتخاذ أصل المال وجمعه حتى كأنه قديم عند صاحبه، فكأن عمر رضي الله عنه وقف أرضه هذه ليأكل منها هؤلاء فقط من غير اتخاذ مال وهذا هو الوقف الاستغلالي والله اعلم.

٢٦ صحيح البخاري، كتاب الوصايا، باب نفقة القيم للوقف. ومسلم كتاب الوصية، باب الوقف.

٢٧ السنن الكبرى للبيهقي، كتاب الوقف، باب جواز الصدقة المحرمة وإن لم تقبض.

مسند الإمام أحمد. مسد عبد الله بن عمر بن الخطاب. وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح ٢٨ .

والمحروم وذوي القربى، ولا حرج على من وليه إن أكل أو أكل ، أو اشترى رقيقاً منه ٢٩.

الحديث الخامس:

وعن الأحنف بن قيس قال: أتيت المدينة وأنا حاج ، فبينما نحن في منازلنا ، نضع رحالنا إذ أتى أت فقال: قد اجتمع الناس في المسجد ، فاطلعت فإذا - يعني - الناس مجتمعون ، وإذا بين أظهرهم نفر قعود ، فإذا هو علي بن أبي طالب ، والزبير ، وطلحة ، وسعد بن أبي وقاص رحمة الله عليهم ، فلما قمت عليهم قيل: هذا عثمان بن عفان قد جاء ، قال: فجاء وعليه ملية صفراء ، فقلت لصاحبي: كما أنت حتى أنظر ما جاء به ، فقال عثمان: أهاننا علي؟ ، أهاننا الزبير؟ ، أهاننا طلحة؟ ، أهاننا سعد؟ ، قالوا: نعم ، قال: فأنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو ، أتعلمون أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: " من يبتاع مربد بني فلان غفر الله له " ، فابتعته ، فأتيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقلت: إني ابتعت مربد بني فلان ، قال: " فاجعله في مسجدنا وأجره لك " ، قالوا: نعم ، قال: فأنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو ، هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " من يبتاع بئر رومة غفر الله له " ، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: قد ابتعت بئر رومة ، قال: " فاجعلها سقاية للمسلمين وأجرها لك " ، قالوا: نعم قال: فأنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو ، هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم - قال: " من يجهز جيش العسرة غفر الله له " ، فجهزتهم حتى ما يفقدون عقالا ولا خطاما ، قالوا: نعم ، قال: اللهم اشهد ، اللهم اشهد ، اللهم اشهد ٣٠.

والعمل عليه عند أهل العلم كما نقل ذلك الترمذي ٣١ حيث قال: «والعمل على هذا عند أهل العلم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وغيرهم لا نعلم بين المتقدمين منهم في ذلك اختلافاً في إجازة وقف الأرضين وغير ذلك» ٣٢. وقال الشوكاني ٣٣ «اعلم أن ثبوت الوقف في هذه الشريعة وثبوت كونه قرابة أظهر من شمس النهار» ٣٤ مما يدل على اتفاق عامة أهل العلم على جواز الوقف ومشروعيته، وقال

٢٩ أخرجه أبو داود في سننه كتاب الوصايا باب ما جاء في الرجل يوقف الوقف. ورواه البيهقي في السنن الكبرى في كتاب الوقف باب الصدقات المحرمات.

٣٠ السنن الكبرى للبيهقي، كتاب الوقف، باب اتخاذ المسجد والسقايات.

١١ هو: محمد بن عيسى بن سورة أبو عيسى الترمذي صاحب الجامع أحد الأئمة الثقات متفق على إمامته وجلالته، مات سنة تسع وسبعين ومائتين، وهو من أبناء السبعين. الإمام الذهبي. ميزان الاعتدال: ٦٧٨/٣.

١٢ سنن الترمذي: ٦٦٠/٣.

١٣ هو: أبو عبد الله محمد بن علي الشوكاني الصنعاني، ولد سنة ألف ومائة وثلاث وسبعين، وهو أحد المكثرين من التأليف في شتى العلوم، توفي سنة ألف ومائتين وخمسين. هدية العارفين: ٣٦٥/٢.

١٤ محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني. السيل الجرار: ٣١٣/٣.

النووي^{٣٥} تعليقاً على حديث عمر حينما وقف أرضه: «وفي هذا الحديث دليل على صحة أصل الوقف، وأنه مخالف لشوائب الجاهلية، وهذا مذهبنا ومذهب الجماهير، ويدل عليه أيضاً إجماع المسلمين على صحة وقف المساجد والسقايات»^{٣٦}.
المبحث الأول: تنمية الوقف.

قبل الحديث عن تنمية الوقف لابد بداية من تعريف معنى التنمية في اللغة والاصطلاح؛ ويحسن بنا كذلك تعريف الاستثمار لأننا سنحتاجه في بحثنا هذا.
المطلب الأول: مفهوم التنمية والاستثمار.
١- التنمية لغة:

من مصدر نَمَى ينمى تنمية بتشديد الميم، فيقال نَمَى الشيء أي جعله نامياً والحديث أي أذاعه على وجه النميمة.
وأصله من نما الشيء ينمو نماء ونموا، أي زاد وكثر، فيقال نما الزرع أو المال: ازداد ويقال نَمَى الحديث نماء أي شاع، ونمى الحيوان أي سمن، وفلان ينميه حسبه أي يرفع شأنه.^{٣٧}

ومن هنا فالتنمية هي الزيادة والنماء الحاصل للشيء، ولم يرد لفظ التنمية في القرآن، ولكن جاءت مشتقاته في السنة النبوية.

الحديث السادس:

قال صلى الله عليه وسلم: حسن الخلق نماء وسوء الخلق شؤم والبر زيادة في العمر والصدقة تمنع ميتة السوء.^{٣٨}
٢- فالمقصود بتنمية الوقف:

بذل كل الجهود بكل الوسائل المتاحة لزيادة موارد الوقف وتكثيرها عن طريق الاستثمار ونحوه، للحفاظ على أموال الوقف من خلال إضافة موارد جديدة ونمايتها وزيادتها عن طريق الاستثمار والاستغلال.
٣- الاستثمار لغة:

مصدر استثمر يستثمر، وهو للطلب بمعنى طلب الاستثمار، وأصله من الثمر، وهو له عدة معان منها ما يحمله الشجر وما ينتجه، ومنها الولد حيث قال: الولد ثمرة القلب، ومنها أنواع المال.

١٥ هو: يحيى بن شرف بن مري النووي دمشقي الشافعي، محيي الدين أبو زكريا: فقيه لغوي محدث، ولد بنوى سنة إحدى وثلاثين وستمائة، مات بنوى سنة سبع وسبعين وستمائة. طبقات الشافعية الكبرى: ٣٩٥/٨ - ٣٩٦، تذكرة الحفاظ: ٢٥٠/٤.

١٦ شرح النووي لصحيح مسلم: ٨٦/١١.

٣٧ المعجم الوسيط، طبعة قطر ٩٥٦/٢، ولسان العرب، طبعة دار المعارف ٤٥٥١/٦، والقاموس المحيط، مادة نَمَى.

٣٨ رواه أحمد في المسند من حديث رافع بن مكيث وكان ممن شهد الحديبية. حديث ١٦٠٧٩.

ويقال: ثمر -بفتح الميم- الشجر ثمورًا أي أظهر ثمره، وثمر الشيء أي نضج وكمل، ويقال: ثمر ماله أي كثر، وأثمر الشجر أي بلغ أوان الإثمار، وأثمر الشيء أي أتى نتيجه، وأثمر ماله -بضم اللام- أي كثر، وأثمر القوم: أطعمهم الثمر، ويقال: استثمر المال وثمره -بتشديد الميم- أي استخدمه في الإنتاج، وأما الثمرة فهي واحدة الثمر فإذا أضيفت إلى الشجر فيقصد بها حمل الشجر، وإلى الشيء فيراد بها فائدته، وإلى القلب فيراد بها مودته وجمع الثمرة: ثمر -بفتح الثاء والميم- وثمر -بضمهما- ثمار وأثمار ٣٩

٤- الاستثمار في الاصطلاح:

ورد لفظ "التمثير" في عُرف الفقهاء عندما تحدثوا عن السفية والرشيد فقالوا: الرشيد هو القادر على تمثير أمواله وإصلاحه، والسفيه هو غير ذلك، قال الإمام مالك: "الرشد: تمثير المال، وإصلاحه فقط" ٤٠.

وأرادوا بالتمثير ما نعني بالاستثمار اليوم.

وأما لفظ الاستثمار فلم يرد في كتب اللغة بمعناه الاقتصادي، ولذلك في معجم الوسيط؛ الاستثمار: استخدام الأموال في الإنتاج إما مباشرة بشراء الآلات، وإما بطريقة غير مباشرة كشراء الأسهم والسندات ثم وضع رمز (مج) الذي يدل على أن هذا المعنى هو من وضع مجمع اللغة ٤١.

والذي يظهر أن لا شك في أن استثمار أموال الوقف يؤدي للحفاظ عليها حتى لا تأكلها النفقات والمصاريف، ويساهم في تحقيق أهداف الوقف الاجتماعية والاقتصادية والتعليمية، والتنمية، فما أكثر مصائب هذه الأمة في هذا العصر، وما أكثر حاجياتها إلى الأموال لتحسين أحوالها الاجتماعية المتخلفة من خلال استثمار الأموال عن طريق التسويق والتصنيع والإنتاج.

إضافة إلى ذلك فإن الوقف الذي يراد له الاستثمار، ومن مقاصده التأبيد، لا يمكن أن يتحقق ذلك إلا من خلال الاستثمارات الناجحة، وإلا فالمصاريف والنفقات والصيانة قد تقضي على أصل الوقف إن لم تعالج عن طريق الاستثمار المجدي النافع. لذلك ينبغي أن تهتم إدارة الوقف (أو الناظر) بهذا الجانب اهتمامًا كبيرًا وتخصص جزءًا جيدًا من ريع الوقف للاستثمار إضافة إلى استثمار بقية أموالها السائلة. المطالب الثاني تنمية الوقف في زمن النبي صلى الله عليه وسلم:

٣٩ لسان العرب ٤/١٠٦، المعجم الوسيط ١/١٠٠ والقاموس المحيط ١/٦٨٩

٤٠ أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الشهير بابن رشد الحفيد (المتوفى: ٥٩٥هـ). بداية المجتهد ونهاية المقتصد، الناشر: دار الحديث - القاهرة الطبعة: بدون طبعة تاريخ النشر: ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤ م. ٢/٢٨١.

٤١ المعجم الوسيط. ص ١٠٠ مادة "ثمر".

أول وقف استثماري كان في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم هو وقف الحوائط السبعة من مال المخيريق بعد عزوة أحد، ومخيريق هذا كان من يهود بني قينقاع، مُقيماً في بني النضير له بها عقارات سبعة تصدق بها على النبي صلى الله عليه وسلم ليفعل بها ما شاء، فوقفها في سبيل الله تعالى، وكان عليه السلام يأخذ جزءاً منها لنفسه وأهله، ويجعل الباقي في سبيل الله تعالى.

الحديث السابع:

فخرج ابن سعد في الطبقات ٤٢ عن الواقدي عن صالح بن جعفر عن المسور بن رفاعة عن ابن كعب قال: "أول صدقة كانت في الإسلام وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم أمواله"، وفي لفظ ابن سعد عن محمد بن كعب قال: أول صدقة في الإسلام وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم أمواله، لما قتل مخيريق بأحد، وأوصي إن أصبت فأموالي لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقبضها رسول الله صلى الله عليه وسلم وتصدق بها"، وللحديث متابعات وشواهد كثيرة تدل على حسنه:

الحديث الثامن:

فخرجه الخصاف ٤٣ وابن سعد ٤٤ من حديث محمد بن إبراهيم بن الحارث ثني عبد الله بن كعب بن مالك قال: قال مخيريق يوم أحد: إن أصبت فأموالي لمحمد صلى الله عليه وسلم يضعها حيث أراه الله، وهي عامة صدقات رسول الله صلى الله عليه وسلم، وله طرق عدة خرجها الخصاف وابن سعد وغيرهما، ويكفي في بيان صحته إخبار الثقات من أهل العلم بأن هذه البساتين السبعة لا تزال موجودة في المدينة، يستفيد الناس من ثمرها إلى زمن التابعين وأتباعهم زمن عمر بن عبد العزيز.

وفيه من الفقه مشروعية الوصية بالوقف في الحوائط والمزارع ونحوها: دليل ذلك

الحديث التاسع:

ما رواه الخصاف قال: نا الواقدي نا صالح بن جعفر عن المسور بن مخرمة قال: "قتل مخيريق على رأس اثنتين وثلاثين شهراً من مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأوصى إن أصيب، فأمواله لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقبضها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتصدق بها ٤٥"، وهذا حديث مرسل وله شواهد أخرى أيضاً كما ذكرنا:

٤٢ ابن سعد الطبقات الكبرى. باب ذكر صدقات رسول الله صلى الله عليه وسلم (٥٠١/١). وأحكام الأوقاف للخصاف ص ٤.

٤٣ أبو بكر أحمد بن عمرو الشيباني المعروف بالخصاف. أحكام الأوقاف. الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة. دون تاريخ. ص ٤.

٤٤ الطبقات الكبرى لابن سعد. باب ذكر صدقات رسول الله صلى الله عليه وسلم (٥٠١/١).

٤٥ أبو بكر أحمد بن عمرو الخصاف في أحكام الأوقاف (ص ١).

وخرجه الخصاف عن عبد الحميد بن جعفر عن محمد بن إبراهيم عن عبد الله بن كعب نحوه.

الحديث العاشر:

وخرجه الخصاف، وابن سعد عن الواقدي حدثني أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة عن الميسور بن رفاعة عن محمد بن كعب القرظي قال: كانت الحبس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حبس سبعة حوائط بالمدينة: الأعواف، والصابية والدلال، والميثب، وبرقة، وحسنى، ومثربة أم إبراهيم. قال ابن كعب: وقد حبس المسلمون بعده على أولادهم وأولاد أولادهم"، محمد بن كعب من كبار التابعين، وأئمة الفقه في الدين، وقد استمر ريع هذه الأوقاف إلى زمن الخليفة الصالح عمر بن عبد العزيز.

الحديث الحادي عشر:

دليل ذلك ما خرجه الخصاف وابن سعد من طريق محمد بن بشر عن أبيه قال: سمعت عمر بن عبد العزيز يقول في خلافته بخناصرة: سمعت بالمدينة والناس يومئذ بها كثير من مشيخة المهاجرين والأنصار أن حوائط النبي صلى الله عليه وسلم، يعني السبعة التي وقف من أموال مخيريق، وقال: إن أصبت فأموالي لمحمد يضعها حيث أراه الله، وقتل يوم أحد، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مخيريق خير يهود. ثم دعا لنا عمر بتمر منها، فأتني بتمر في طبق فقال: كتب إلي أبو بكر بن حزم يخبرني أن هذا التمر من العذق الذي كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم"، وسيأتي عن الزهري وصفه لهذه الأراضي ومعاينته لها.

ومن الأدلة على استثمار الوقف وبيان مصرفه حيث كان للنبي عليه الصلاة والسلام في أموال بني النضير ثم أموال خيبر وفدك، فحبسها في سبيل الله تعالى، وولي العمل بها اليهود على أن تكون الغلة مناصفة بينهم وبين المسلمين، ثم يقتسم المسلمون شطرهم: يأخذ النبي عليه السلام جزءا منه - أراه الخمس -، ويكون الباقي في سبيل الله تعالى بين المسلمين.

وأما أموال اليهود تلك فكانت من الفيء للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة، فكان يأخذ نفقة سنته من فيء بني النضير وغيره، ويحبس الباقي في سبيل الله تعالى

الحديث الثاني عشر:

فعن ابن شهاب الزهري عن مالك بن أوس بن الحدثان قال: فيما احتج به عمر رضي الله عنه أنه قال: "كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث صفايا، بنو النضير، وخبير، وفدك ٤٦، فأما بنو النضير فكانت حبسا لنوائبه، وأما فدك فكانت

٤٦ واحة تقع في أطراف الحجاز قرب مدينة خيبر في شبه الجزيرة العربية تقع في يومنا هذا في المملكة العربية السعودية وتتبع إدارياً منطقة حائل وتقع بالجزء الغربي الجنوبي لمنطقة حائل.

حبسا لأبناء السبيل، وأما خيبر فجزأها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أجزاء، جزأين بين المسلمين، وجزءا نفقة لأهله، فما فضل عن نفقة أهله جعله بين فقراء المهاجرين ٤٧.

الحديث الثالث عشر:

وعن عمر بن الخطاب قال: "كانت أموال بني النضير مما أفاء الله على رسوله، مما لم يوجف عليه المسلمون بخيل ولا ركاب، فكانت للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة، فكان ينفق على أهله نفقة سنة، وما بقي يجعله في الكراع والسلاح، عدة في سبيل الله" ٤٨، الكراع هي الخيل والفرس.

في الحديث دليل على وقف غلة الفيء لشراء السلاح والعتاد، وكذا الوقف في وسائل الركوب.

أما عن كيفية استثمار البساتين بالمزارعة وكيفية صرف غلة ذلك، فقد وقف النبي صلى الله عليه وسلم أرض خيبر كما تقدم واستثمرها بأن ولي العمل بها لليهود، ثم جعل غلتها من ثمار وزروع مشاطرة بينهم وبين المسلمين.

الحديث الرابع عشر:

فعن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم عامل أهل خيبر بشطر ما يخرج منها من ثمر أو زرع ٤٩، ثم قسم شطر المسلمين بينه وبينهم كما مر من حديث عمر: "وأما خيبر فجزأها النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة أجزاء، جزأين بين المسلمين، وجزءا نفقة لأهله، فما فضل عن نفقة أهله جعله بين فقراء المهاجرين.

الحديث الخامس عشر:

وخرج ابن شبة في تاريخه عن عبد الله بن عمر: "لما افتتحت خيبر، سألت اليهود النبي صلى الله عليه وسلم أن يقرها في أيديهم على أن يعملوا على النصف مما خرج منها، التمر والزرع فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "أقركم على ذلك ما شئنا" فكانوا فيها كذلك على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر رضي الله عنه، وطائفة من إمارة عمر رضي الله عنه، وكان التمر يقسم على السهمان من نصف خيبر، ويأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الخمس، وكان النبي صلى الله عليه وسلم أطعم كل امرأة من أزواجه من الخمس: مائة وسق تمر، وعشرين وسقا شعيرا ٥٠.

٤٧ سنن أبي داود كتاب الخراج والإمارة والفيء باب في صَفَايَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْأَمْوَالِ

٤٨ صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير. باب حكم الفيء.

٤٩ صحيح مسلم كتاب المساقاة باب المساقاة والمعاملة بجزء من الثمر والزرع.

٥٠ عمر بن شبة بن عبيدة بن ربيعة النميري البصري، أبو زيد (المتوفى: ٢٦٢هـ). تاريخ المدينة لابن شبة. حققه: فهيم محمد شلتوت. طبع على نفقة: السيد حبيب محمود أحمد - جدة. عام النشر: ١٣٩٩ هـ. باب أمر خيبر. (١/١٧٨)

ثم إن عمر رضي الله عنه قرر أن يبيع الغلة ثم يعطي المسلمين مالا بدلا عن الثمار وكل ذلك حسن، للناظر في الوقف أن يفعل أيهما أحسن وأيسر:

الحديث السادس عشر:

فخرج ابن شبة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "أعطانا النبي صلى الله عليه وسلم نصيبنا من خير، وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما، غير أن الناس كثروا على عمر رضي الله عنه، فأرسل إلينا فجمعنا فقال: إن الناس قد كثروا، فإن شئتم أعطيتكم مكان نصيبكم من خير مالا. فنظر بعضنا إلى بعض، فقتل عمر رضي الله عنه ولم يعطنا شيئا، فقبضها عثمان رضي الله عنه، وذكرنا له ذلك فقال: إن عمر رضي الله عنه قبضها ولم يعطكم فأبى أن يعطينا ٥١".

ووقف رسول الله صلى الله عليه وسلم الفياء واستثمره وجعل غلته وآباره وما فيه في سبيل الله تعالى.

الحديث السابع عشر:

ذلك أن يهوداً فدك بعثوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم حين افتتح خيبر: أن أعطنا الأمان منك، وهي لك"، ثم وقفها عليه السلام في ابن السبيل كما مرّ من حديث عمر: "وأما فدك فكانت حبسا لأبناء السبيل"، وقد استثمرها النبي عليه السلام أيضا بأن ولي العمل بها لليهود، ثم جعل غلتها من ثمار وزروع مشاطرة بينهم وبين المسلمين. فخرج ابن زنجويه في الأموال بإسناد مرسل عن يحيى بن سعيد قال: "كان أهل فدك قد أرسلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعوه على أن لهم رقابهم ونصف أرضهم ونخلهم، ولرسول الله صلى الله عليه وسلم شطر أرضهم ونخلهم، فلما أجلاهم عمر بن الخطاب، بعث من أقام لهم حظهم من الأرض والنخل، فأداه إليهم" ٥٢.

الحديث الثامن عشر:

فخرجه ابن شبة عن ابن إسحاق عن الزهري وعبد الله بن أبي بكر عن بعض ولد محمد بن أبي سلمة قال: "بقيت بقية من أهل خيبر تحصنوا، فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحقن دماءهم ويسيرهم، ففعل، فسمع بذلك أهل فدك، فنزلوا على مثل ذلك، فكانت للنبي صلى الله عليه وسلم خالصة؛ لأنه لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب" ٥٣.

الحديث التاسع عشر:

٥١ المصدر السابق. (١٨٢/١)
 ٥٢ الأموال لابن زنجويه. باب: مَا يَجِبُ عَلَى الْإِمَامِ مِنَ النَّصِيحَةِ لِرَعِيَّتِهِ وَعَلَى الرِّعَايَةِ لِإِمَامِهِمْ. صُفُوفُ الْأَمْوَالِ الَّتِي تَلِيهَا الْأَئِمَّةُ لِلرِّعَايَةِ، وَأُصُولُهَا فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.
 ٥٣ تاريخ المدينة لابن شبة (١٩٣/١)

وخرجه عن مالك عن عبد الله بن أبي بكر بن عمرو بن حزم أن النبي صلى الله عليه وسلم صالح أهل فدك على النصف له والنصف لهم، فلم يزلوا على ذلك حتى أخرجهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأجلاهم ٥٤".
ومما يدل على التصديق بالبيوت والاستثمار فيها والإشهاد على ذلك.

الحديث العشرون:

ما خرّجه الحاكم في المستدرك قال: حدثنا أبو عبد الله الأصبهاني، ثنا الحسن بن الجهم، ثنا الحسين بن الفرج، ثنا محمد بن عمر، حدثني عثمان بن هند بن عبد الله بن عثمان بن الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي قال: أخبرني أبي عن يحيى بن - عمران - عثمان بن الأرقم حدثني جدي عثمان بن الأرقم أنه كان يقول: أنا ابن سبع الإسلام، أسلم أبي سابع سبعة، وكانت داره على الصفا وهي الدار التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يكون فيها في الإسلام، وفيها دعا الناس إلى الإسلام، فأسلم فيها قوم كثير، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الاثنين فيها: "اللهم أعز الإسلام بأحب الرجلين إليك عمر بن الخطاب أو عمرو بن هشام"، فجاء عمر بن الخطاب من الغد بكرة، فأسلم في دار الأرقم، وخرجوا منها وكبروا وطافوا بالبيت ظاهرين، ودعيت دار الأرقم دار الإسلام، وتصدق بها الأرقم على ولده، فقرأت نسخة صدقة الأرقم بداره: بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما قضى الأرقم في رבעه ما حاز الصفا، أنها صدقة بمكانها من الحرم لا تباع، ولا تورث شهد هشام بن العاص، وفلان مولى هشام بن العاص، قال: فلم تزل هذه الدار صدقة قائمة فيها ولده يسكنون ويؤاجرون ويأخذون عليها حتى كان زمن أبي جعفر" ٥٥

وقد بلغ من ريع هذه الأوقاف أن أغنت المسلمين وكفّتهم.

الحديث الحادي والعشرون:

فأخرج ابن شبة في تاريخ المدينة عن ابن إسحاق قال: بلغني ممن أثق به أن المقاسم كانت على أموال خبير على الشق والنطاة في أموال المسلمين، وكانت الكتيبة خمس الله وسهم ذوي القربى واليتامى والمساكين، وطعم أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، وطعم رجال مشوا بين أهل فدك بالصلح، منهم محيصة بن مسعود، أعطاه النبي صلى الله عليه وسلم منها ثلاثين وسقا شعيرا وثلاثين وسقا تمرا، فكانت الكتيبة مما ترك الرسول صلى الله عليه وسلم، فصارت في صدقاته " قال أبو غسان: وقد سمعت من يقول: كانت بئر غاضر والنورس من طعمة أزواج النبي صلى الله عليه وسلم،

٥٤ تاريخ المدينة لابن شبة (١/١٩٤)

٥٥ المستدرك على الصحيحين للحاكم كتاب معرفة الصحابة رضي الله عنهم «أما الشيخان فإنهما لم يزيدا على المناقب، وقد بدأنا في أول ذكر الصحابي بمعرفة نسبه ووفاته، ثم بما يصح على شرطهما من مناقبه مما لم يخرجاه فلم أستغن عن ذكر محمد بن عمر الواقدي وأقرانه في المعرفة. ذكر الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي رضي الله عنه

وهما من أموال بني قريظة بعالية المدينة. وقد قيل في ذلك: إن بئر غاضر مما دخلت في صدقة عثمان رضي الله عنه في بئر أريس "٥٦".
المبحث الثاني تنمية الوقف في العصر الحاضر
المطلب الأول طرق تنمية الوقف.

اتسم العصر الحديث بتطورات إدارية وقانونية كبيرة في تنظيم شؤون الأوقاف وتسييرها، فساد الاتجاه إلى إنشاء إدارات ووزارات خاصة للإشراف عليها، وإلى وضع تنمية أموال الوقف واستثمارها ضمن الخطط العامة للدولة، ومن شأن هذه التنظيمات والتعديلات الحديثة أن تعزز دور الأوقاف في القيام برسالتها.

استثمار أموال الوقف يمكن أن يكون بتمويل ذاتي أو بتمويل غير ذاتي. أما التمويل الذاتي فيقصد بالاستثمار الذاتي مجموعة العقود والتصرفات المالية التي ينجزها النظار والمسؤولون عن إدارة الوقف اعتماداً على الإمكانيات المالية الذاتية المتوفرة داخل مؤسسة الوقف، دونما حاجة إلى إشراك جهة أخرى. ومن ذلك:

- ١- الإجارة وهي من أهم طرق الاستثمار الذاتي للأوقاف.
- ولحماية مصالح الوقف، وضع الفقهاء شروطاً لصحة هذا العقد، من أهمها:
 - أن يكون عقد الإجارة صحيحاً، بأن تُعَيَّن فيه المدة وقيمة الأجرة.
 - ألا تقل الأجرة عن أجره المثل.
 - ألا يلجأ إلى هذا العقد إلا بعد التأكد من وجود ضرورة تدعو إليه.
 - أن يكون بإذن الناظر أو من ينوب عنه.

إذا نظرنا إلى هذا العقد وجدنا أن مؤسسة الوقف قد حَصَلَتْ بموجبه مبلغاً كبيراً من المال يقترب من قيمة الأرض المحكرة، وباعت مقابلته حق الاستثمار لمدة طويلة. والمبلغ المعجل من المال يستخدم في تمويل مشاريع تنموية أخرى لإصلاح وقف آخر وتحسين مردوديته. ولضمان هذا الهدف التنموي أوجب الفقهاء أن تستثمر الأموال العائدة من هذا العقد في إنقاذ عقار وقفي آخر، ونقله من حال الركود إلى حال النمو المثمر، ومنعوا استخدامهما في المصاريف الاستهلاكية الدورية، لأن ذلك يؤدي إلى استنزافها، وهو أمر يتعارض مع مصلحة الوقف.

ومن الصيغ الأخرى للاستثمار الذاتي للوقف إنشاء العمارات أو شراء الأسهم والسندات.

وأما الاستثمار بتمويل غير ذاتي فيقصد به مجموع التصرفات والمعاملات المالية التي تقوم بها مؤسسة الوقف عن طريق المشاركة مع جهة مستثمرة خارجية، بهدف تنمية أموال الأوقاف، وأهم هذه التصرفات:

ويكون بصيغ كثيرة، منها: عقد الاستصناع والمشاركة والمضاربة والمزارعة والمساقاة والمغارسة والمشاركة المنتهية بالتملك.

وهناك بحث للدكتور أحمد أبو زيد الأستاذ بجامعة محمد الخامس بالرباط ضمن المنشورات التي تصدرها المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة تحدث فيه عن أساليب تطوير العمل في نظام الوقف الإسلامي، فتكلم عن الصيغ السالفة الذكر وبين دورها في تنمية الوقف واستثماره.

المطلب الثاني التجربة المغربية في تنمية الوقف.

تنقسم الأوقاف في المغرب إلى نوعين، أوقاف عامة وأخرى خاصة، أما العامة فهي التي توقف على جهة من جهات البر والخير، ولا يكون المحبس عليه شخصاً معيناً مثل العقارات المحبسة على خدمة المساجد والمستشفيات والمدارس والملاجئ ودور الأيتام، أما الأوقاف الخاصة وتسمى في المغرب بالمعقبة، فهي العقارات التي حبسها أصحابها على أشخاص معينين، كأن يحبس شخص داراً على أولاده الذكور ما تعاقبوا ليستمر انتفاعهم.

وتتولى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الدعوة للوقف وإحصاء الأوقاف والمحافظة على أموالها وإدارتها واستثمارها وصرف ريعها على وجوه البر التي أوقفت من أجلها، وتسهر على الحفاظ على ديمومة هذه الممتلكات وإعادة تقييمها وجعلها تقوم بالدور الأساسي الذي ابتغاه له المحبسون، سواء في الجانب الديني أو الثقافي أو في الحياة العامة.

وتسعى وزارة الأوقاف لسن وتطوير التشريعات المنظمة للوقف بما يحقق حماية الأعيان الوقفية وتنظيم صرفها في مصارفها المحددة في شروط الواقفين، وتحقيق أهداف التنمية المستدامة.

و تعد التجربة المغربية في مجال إدارة الأوقاف وتنميتها متميزة ومتفردة في العالم حيث تسعى وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية بحكم رسالتها النبيلة في تولي إدارة أموال الوقف والمحافظة عليها واستثمارها على وجوه البر التي حبست من أجلها وفي مقدمتها خدمة مصالح الدين، تسعى إلى تحقيق مجموعة من الأهداف الاستراتيجية التنموية تتجلى في المحافظة على الأصول الوقفية السعي لتحقيق نسبة نمو مرتفعة ومطرده لموارد الوقف وتجديد طرق استثمار الأموال الوقفية وتنميتها، استحداث سبل وصيغ جديدة لاستثمار أموال الوقف، الانفتاح على مصادر تمويل جديدة،- تشجيع الأبحاث والدراسات المهمة بميدان الأوقاف، إنشاء المكتبات ورعايتها وتزويدها بالكتب إنجاز مشاريع خيرية أو استثمارية ذات طبيعة تنموية بعقد عدة شراكات واتفاقيات مع مؤسسات المجتمع التي لها مجالات وأهداف مشتركة مع الوقف.

لحد تاريخه، وباستثناء بعض التجارب القليلة ومنها تجربة مع البنك الإسلامي للتنمية أو المساهمة في رأسمال بعض الشركات، يتم تمويل استثمارات الوقف لزيادة أصوله ذاتياً من مداخل المعاولات النقدية- الاستبدال- والتعويضات الممنوحة عن

نزرع بعض العقارات الوقفية للمنفعة العامة. أما تنمية ريع الأوقاف، فيبقى الإيجار أكثر أساليب الاستثمار شيوعا في المغرب ويتم عن طريق المزداد العلني. فبالمدارات الحضرية، تقوم الوزارة بتهيئة الأراضي الوقفية القابلة للاستثمار وتجهيزها للرفع من قيمتها ثم تعوض وتستثمر الأموال في بناء مجمعات سكنية أو تجارية وغيرها أو تقتنى بها أملاك جاهزة تدخل بدورها في عجلة التنمية لإدراج الريع. وفي هذا الإطار تقوم كلما دعت الضرورة لذلك بضم أموال أوقاف مختلفة في وعاء استثماري واحد يصرف من ريعه على الجهات كلها. وتراعي الوزارة تنويع مجالات الاستثمار والبحث عن أنجع الأساليب تقليلا للمخاطر وضمانا لنسبة مردودية مرتفعة. ولهذا تقوم باستثمار أموال جهة معينة ليس في الجهة نفسها ولكن في الجهات التي يمكن تحقيق أعلى نسبة مردودية بها، أما الريع فيوجه للجهة الأصلية.

ونظرا لأن الأموال الوقفية بالمغرب في مجملها عقارات بداخل المدن وشملتتها تصاميم التهيئة العمرانية، ونظرا لقلة السيولة المالية الذاتية لاستثمارها، توجهت الوزارة مؤخرا نحو التفكير في إنجاز مشاريع بواسطة تمويل خارجي في إطار شراكات مع المنعشين العقاريين الخواص والمؤسساتيين بأن تساهم الأوقاف في المشروع بعقاراتها في إطار عقود موثقة في إطار الضوابط القانونية والشرعية التي تنظم الوقف ويساهم الشريك بالتمويل لإنجاز المشروع.

هذا وقد سبق للبنك الإسلامي للتنمية أن ساهم بالتمويل (عقد مشاركة في الأرباح) لإنجاز مشروع تجزئة سكنية فوق أرض حبسية بيعت قطعها بالمزداد العلني وقسم الريح حسب نسبة كل شريك في المشروع. كما أن الوزارة ساهمت بعقار في رأسمال شركة عقارية وتتوصل بأرباحها السنوية حسب حصتها من الرأسمال. وبنت برج الأوقاف بالدار البيضاء في بداية الثمانينيات عن طريق قرض حسن من صندوق أبو ظبي للتنمية بضمان من الدولة المغربية.

كما أن الوزارة في إطار تنويع أساليب الاستثمار، اقتنت أسهم شركة يتم تداولها في بورصة القيم بالدار البيضاء وتتوصل بأرباحها السنوية. ولكنها تجربة محتشمة بحكم نسبة المخاطر المتعلقة بهذا النوع من الاستثمارات.

كما تم توقيع عقد BOT مع شركة كوثر الماليزية وبمشاركة البنك الإسلامي للتنمية لاستثمار أرض وقفية قرب جامعة مكناس لبناء سكن للطلاب والطالبات بقيمة حوالي ١٥ مليون دولار.

وتسعى وزارة الأوقاف كذلك، في إطار البحث عن التمويل اللازم لاستثمار الأملاك الوقفية، إلى دراسة إمكانية الاستفادة من بعض الصيغ الاستثمارية التي تمت دراستها والتوصية بها على أنها ملائمة للوقف، وفي هذا الإطار اقترحت على البنك الإسلامي للتنمية (صندوق تشييد ممتلكات الأوقاف) تمويل بناء سكن للطلاب بمدينة المحمدية على أرض وقف تقع قرب الكليات بهذه المدينة، وتبلغ قيمة الاستثمار حوالي

٢٥ مليون دولار. الوزارة والبنك منكبان حاليا على إعداد دراسة الجدوى وسيناريوهات التشغيل والصيانة.

و بحكم أن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية هي التي تتولى إدارة أموال الوقف والمحافظة عليها واستثمارها للصرف من ريعها على وجوه البر التي حبست من أجلها وفي مقدمتها خدمة مصالح الدين، وعلى ضوء التوجيهات الملكية السامية في خطاب جلالة الملك ل ٣٠ ابريل ٢٠٠٤ في شأن إعادة هيكلة الحقل الديني بالمغرب، بإحياء مؤسسة الأوقاف وعقلنة تسييرها والرفع من تنمية مداخلها حتى تظل هذه المؤسسة وفية لمقاصدها الشرعية والتضامنية والاجتماعية وتتنامى بإسهام المحسنين فيها، تسعى الوزارة، على ضوء هذه الرسالة النبيلة، إلى تحقيق الأهداف الاستراتيجية للتنمية التالية:

- المحافظة على الأصول الوقفية وضمان الاستمرارية لدور الوقف بإخضاعها لنظام التحفيظ العقاري وتخصيص جزء من أموال الوقف لصيانة وإصلاح الأملاك.

- السعي لتحقيق نسبة نمو مرتفعة ومطرودة لموارد الوقف ليزداد دوره في أداء وظيفته، بالحرص على استيفاء الوجيبات الكرائية وتعديل الكراءات لتتناسب مع مثيلاتها بالسوق، كما تحرص على عرض المحلات الحبسية الفارغة على المزاد العلني للكراء .

- تجديد طرق استثمار الأموال الوقفية وتنميتها باختيار أفضل الأساليب العصرية المتاحة المبنية على دراسات فقهية وقانونية والتي تلائم طبيعة الوقف وخصوصيته.

- استحداث سبل وصيغ جديدة لاستثمار أموال الوقف من أجل تأمين دخل مرتفع للصرف منه على أوجه التحسيس وعدم الاكتفاء بالصيغ التقليدية القديمة (الإيجار، الاستثمارات العقارية...) على أن تكون أكثر أمانا.

- الانفتاح على مصادر تمويل جديدة، والاستفادة من الإمكانيات التي يتيحها صندوق الاستثمار في ممتلكات الأوقاف التابع للبنك الإسلامي للتنمية.

- تشجيع الأبحاث والدراسات المهمة بميدان الأوقاف خصوصا تلك المتعلقة بالاتجاهات المعاصرة في تطوير الاستثمار الوقفي.

ومن المحاور الهامة لهذه الاستراتيجية، زيادة على محاور الاستثمار والمحافظة والصيانة وتنمية المداخل، محور خاص يتعلق بإشاعة ثقافة الوقف والتعريف به لدى الجمهور المتخصص والواسع وذلك من خلال عقد ندوات متخصصة بتعاون مع الجامعات وطبع الأطروحات التي تتعلق بالأوقاف ضمن منشورات الوزارة وتخصيص برامج إذاعية وتلفزية للتعريف بالوقف وأهدافه علاوة على موقع الوزارة على الانترنت، كما يتم تخصيص بعض خطب الجمعة للتحسيس بموضوع الوقف.

ولإبراز دور الوقف التاريخي وأهميته في الدفع بعجلة التنمية في البلاد ولتنمية دور المحسنين في الإسهام في الوقف لتعود المؤسسات الوقفية إلى الصورة التي كانت لها عبر العصور. ولإحياء وظائف الأوقاف الاجتماعية والتضامنية بزيادة الأنشطة

الاجتماعية في بلادنا بالنظر للظروف السياسية والاجتماعية الراهنة، ونظرا لما بينته مجموعة من الدراسات الحديثة، منها دراسة لبرنامج الأمم المتحدة للتنمية، من أهمية الوقف، كأداة لمحاربة الفقر والتهميش، في الدفع بعجلة التنمية في العالم الإسلامي خصوصا منها التنمية الاجتماعية، تم في إطار هذه الاستراتيجية تفعيل أدوار الوقف الاجتماعية والتنموية والتعليمية حيث تساهم موارد الأوقاف سنويا مع شركاء آخرين، أهمهم مؤسسة محمد الخامس للتضامن، في عملية إفطار رمضان وفي تمويل برنامج محو الأمية للكبار بالمساجد و تقديم منح لطلبة التعليم العتيق (الديني)، زيادة على العناية أكثر بالملاجئ التي تشرف عليها مباشرة ومنها ملجا سيدي فرج للمقطعين والعجزة بتطوان ودار الشريقات بفاس.

وفي المجال الثقافي وحيث أن من أهم المظاهر التي يتجلى فيها البعد العلمي للوقف، إنشاء المكتبات ورعايتها وتزويدها بالكتب، ولاستعادة الأوقاف للدور الهام الذي كانت تلعبه في ميدان الخزانات العلمية، قامت الوزارة بتشديد مركب ثقافي عصري في مكناس أشرف على تدشينه صاحب الجلالة، وشرعت في بناء 4 مركبات جهوية مماثلة بمدن أخرى، كما قامت بإنشاء متحف إسلامي بمدرسة لوقش بتطوان التي كانت آيلة للسقوط فتم ترميمها وتهيئتها لتكون متحفا للتراث الديني يعرف بغنى وثراء الحضارة المغربية الإسلامية وخصوصياتها ومن ذلك جانب الأوقاف.

كما تم عقد عدة شراكات واتفاقيات مع مؤسسات المجتمع التي لها مجالات وأهداف مشتركة مع الوقف لإنجاز مشاريع خيرية أو استثمارية ذات طبيعة تنموية حيث تم بناء مركز للمعاقين ومركب تجاري للصناع التقليديين بمراكش وساهمت الوزارة مع شركاء آخرين في مشروع بناء مركز صحي تابع للhal الأحمري بتطوان، ومن ذلك أيضا وضع قطع أرضية وقفية رهن الإشارة لبناء بعض المؤسسات الخيرية أو الصحية. وفي نفس الإطار تم خلق صندوق وقفي لرعاية الصحة العقلية من دخول أوقاف المارستانات وتبرعات المحسنين، وتم التوقيع على اتفاقية مع وزارة الصحة تهم مساهمة الصندوق في دعم برامجها الرامية إلى تحسين خدمات الصحة العقلية ببلادنا، وأول مشروع موله هذا الصندوق هو إحداث مصلحة للمستعجلات بمستشفى الأمراض العقلية بمدينة سلا"

وفيما يلي أهم النتائج والتوصيات التي خرجت بها:

- إن التنمية الشاملة التي تنشدها الأمة الإسلامية لا يمكن أن تتجج إلا إذا نشرت الوعي بين شعوبها بأهمية الوقف على الأعمال الخيرية والاجتماعية، وأفسحت المجال للمجتمع ولأهل الخير لتحمل جزء من أعباء الخدمات الاجتماعية.
- إن تطوير نظام الأوقاف، إدارةً وتسييراً واستثماراً وأحكاماً، يقتضي تضافر جهود المسؤولين، والفقهائ، والمفكرين والاقتصاديين.
- الأوقاف لا يمكن أن تؤدي رسالتها الدينية والاجتماعية على أحسن وجه إلا إذا وضعت في أيد أمينة طاهرة تتحلّى بالتقوى، والصلاح، والخبرة، والكفاءة.

- ضرورة ربط المشاكل المثارة في مجال الاستثمار الوقفي بالمشكل العام المتعلق بمراجعة الاجتهادات الفقهية.
- دعوة مراكز البحوث لدراسة التجارب العملية لاستثمار الأوقاف وتقييمها.
- إيجاد تشريعات وتنظيمات تلبي الاحتياجات المتعددة للواقفين، تحت إشراف مؤسسات تتمتع بالشفافية ومعايير الرقابة.
- وجوب تأمين الاستثمار الوقفي من المخاطر عبر تعزيز ضماناته التوثيقية وتحسين وضعيته القانونية.
- الدعوة إلى التوسع في أنواع الأعيان الموقوتة ومجالات الاستثمار المرتبطة بها، بما يضمن تغيير الصورة النمطية المغلوطة عن الاستثمار الوقفي.
- المطالب بتحسين سمعة الأوقاف بما يخدم تنميتها وبتفعيل النصوص القانونية المكرسة للحكمة الجيدة، سواء كانت مرتبطة بمالية الأوقاف العامة أم مراقبتها، مع إخضاع الاستثمارات الوقفية للتحليل الاستباقي، وتحرير المخاطر وتعميق المقاربات الاستراتيجية والتخطيط في مجال الاستثمار الوقفي.

خاتمة:

يتضح من كل ما سبق أن للوقف حكمة جليلة، تتمثل في جلب الخير العميم الدائم للبلاد والعباد، وفي إيجاد أصول ورؤوس أموال قارة منتظمة ونامية تدر الخير والعطاء على الدوام، ولا تبرز هذه الخاصية بوضوح في ضروب الإنفاق والصدقات الأخرى، ومن هنا كان الوقف من أهم المؤسسات الخيرية والعلمية والاجتماعية في الحضارة الإسلامية، وكان الحجر الأساس الذي قامت عليه تلك الحضارة. وفي ظل الظروف الراهنة، والأوضاع التي تمر بها الأمة الإسلامية في هذا العصر، تجدد الاهتمام بالوقف، وتركز البحث والتفكير حول نظامه ومؤسساته وأحكامه بحثاً عن أحسن الطرق لتطوير أعماله ومضاعفة الاستفادة من خيراته. وقد حاولت في هذا البحث المختصر أن أعرف بأهم الجهود التي أنجزت في سبيل تنمية الوقف واستثماره ونشر الوعي بين المسلمين بفضل الوقف وفوائده وأبعاده، والدور الكبير الذي قام به في بناء الحضارة الإسلامية، وتوفير الرعاية الاجتماعية والصحية للمسلمين، وفي النهوض بالتعليم ورعاية العلماء وطلاب العلم، والجهود التي بذلت وتبذل في سبيل تطوير نظم الأوقاف وأساليب إدارتها واستثمار أموالها.

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.
٢. أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: ٢٣٠هـ). الطبقات الكبرى، المحقق: إحسان عباس الناشر: دار صادر - بيروت الطبعة: الأولى، ١٩٦٨ م.
٣. إبراهيم بن موسى بن أبي بكر ابن الشيخ علي الطرابلسي، الحنفي (المتوفى: ٩٢٢هـ). الإسعاف في أحكام الأوقاف، الناشر: طبع بمطبعة هندية بشارع المهدي بالأوزبكية بمصر المحمية الطبعة: الثانية، ١٣٢٠ هـ - ١٩٠٢ م.
٤. أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ). المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت صحيح ابن خزيمة
٥. أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ). لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي الناشر: دار صادر - بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ.
٦. أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الشهير بابن رشد الحفيد (المتوفى: ٥٩٥هـ). بداية المجتهد ونهاية المقتصد، الناشر: دار الحديث - القاهرة الطبعة: بدون طبعة تاريخ النشر: ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.
٧. أبو بكر أحمد بن عمرو الشيباني المعروف بالخصاف. أحكام الأوقاف. الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة. دون تاريخ.
٨. أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ). السنن الكبرى، المحقق: محمد عبد القادر عطا الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
٩. أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (المتوفى: ٢٧٥هـ). سنن أبي داود. المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد الناشر: المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.
١٠. أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ). المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الثانية، ١٣٩٢
١١. أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ). تهذيب الأسماء واللغات عنيته بنشره وتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية.

١٢. أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ).
المتجنى من السنن = السنن الصغرى للنسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة
الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ - ١٩٨٦
١٣. أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ).
مسند الإمام أحمد بن حنبل، المحقق: أحمد محمد شاكر الناشر: دار الحديث - القاهرة الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م.
١٤. أبو عبد الله البخاري الجعفي. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.
١٥. أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ). المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١١ - ١٩٩٠.
١٦. أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، (المتوفى: ٢٧٣هـ). سنن ابن ماجة بن ماجة
١٧. أبو عبد الله، الرصاع التونسي المالكي (المتوفى: ٨٩٤هـ). الهداية الكافية الشافعية لبيان حقائق الإمام ابن عرفة الوافية، (شرح حدود ابن عرفة للرصاع). الناشر: المكتبة العلمية. الطبعة: الأولى، ١٣٥٠هـ.
١٨. أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي (المتوفى: ٢٧٩هـ). الجامع الكبير - سنن الترمذي المحقق: بشار عواد معروف الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت سنة النشر: ١٩٩٨ م.
١٩. أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ). الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار الناشر: دار العلم للملايين - بيروت الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
٢٠. إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي (المتوفى: ١٣٩٩هـ). هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين. الناشر: طبع بعناية وكالة المعارف الجليلية في مطبعتها البهية استانبول ١٩٥١ أعادت طبعه بالأوفست: دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان.
٢١. تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (المتوفى: ٧٧١هـ). طبقات الشافعية الكبرى. المحقق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع. الطبعة: الثانية، ١٤١٣هـ.
٢٢. زين الدين أبو يحيى السنكي Kزكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري، (المتوفى: ٩٢٦هـ). أسنى المطالب شرح روض الطالب. عدد الأجزاء: ٤ الناشر: دار الكتاب الإسلامي الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ

٢٣. شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ). تذكرة الحفاظ. الناشر: دار الكتب العلمية بيروت-لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
٢٤. عمر بن شبة (واسمه زيد) بن عبيدة بن ربيعة النميري البصري، أبو زيد (المتوفى: ٢٦٢هـ). تاريخ المدينة لابن شبة. حققه: فهمي محمد شلتوت. طبع على نفقة: السيد حبيب محمود أحمد - جدة. عام النشر: ١٣٩٩ هـ.
٢٥. لابن زنجويه. أبو أحمد حميد بن مخلد بن قتيبة بن عبد الله الخرساني المعروف بابن زنجويه (المتوفى: ٢٥١هـ). الأموال تحقيق الدكتور: شاعر ذيب فياض الأستاذ المساعد - بجامعة الملك سعود الناشر: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، السعودية الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.
٢٦. مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى: ٨١٧هـ). القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
٢٧. مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار). المعجم الوسيط. الناشر: دار الدعوة
٢٨. محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ). أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان عام النشر: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.
٢٩. محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ). السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، الناشر: دار ابن حزم. الطبعة: الأولى
٣٠. محمد عيم الإحسان المجددي البركتي. التعريفات الفقهية، الناشر: دار الكتب العلمية (إعادة صف للطبعة القديمة في باكستان ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م) الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م
٣١. موسى بن أحمد بن موسى بن سالم بن عيسى بن سالم الحجاوي المقدسي، ثم الصالحي، شرف الدين، أبو النجا (المتوفى: ٩٦٨هـ). الإقناع في فقه الإمام أحمد بن حنبل. المحقق: عبد اللطيف محمد موسى السبكي الناشر: دار المعرفة بيروت - لبنان.
٣٢. المواقع الإلكترونية: موقع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية

<http://www.habous.gov.ma>

1. The Holy Quran.
2. Abu Abdullah Mohammed bin Saad bin Mene'i al-Hashimi with loyalty, al-Basri, al-Baghdadi known as Ibn Saad (deceased: 230

- Ah). Grand Classes, Investigator: Ihsan Abbas Publisher: Dar Sader - Beirut Edition: First, 1968.
3. Ibrahim bin Musa bin Abu Bakr, son of Sheikh Ali Trabelsi, Hanafi (deceased: 922 Ah).
 4. Abu al-Hassan Muslim bin al-Hajjaj al-Qashiri al-Nisaburi (deceased: 261 Ah). The correct and brief assigned to the transfer of justice from justice to the Messenger of God. Investigator: Mohammed Fouad Abdel Baki Publisher: Arab Heritage Revival House - Beirut True Ibn Khazima
 5. Abu al-Fadl, Jamal al-Din, son of The Perspective of Al-Ansari al-Ruweifi al-Africai (deceased: 711 Ah). Al-Arab, Mohammed bin Makram bin Ali Publisher: Dar Sader - Beirut Edition: 3rd - 1414 Ah.
 6. Abu al-Walid Mohammed bin Ahmed bin Mohammed bin Ahmed bin Rushd al-Qartabi, famous for his grandson Ibn Rushd (deceased: 595 Ah). The Beginning of the HardWorker and the End of the Economical, Publisher: Dar al-Hadith - Cairo Edition: Without Publication Date Edition: 1425 Ah - 2004 AD
 7. Abu Bakr Ahmed bin Amr al-Shaibani, known as Al-Wassaf. Provisions of endowments. Publisher: Library of Religious Culture, Cairo. No date.
 8. Abu Bakr al-Beheqi (deceased: 458 Ah). Al-Sinan al-Kabir, Investigator: Mohammed Abdelkader Atta Publisher: Scientific Book House, Beirut - Daughters of the Edition: 3rd, 1424 Ah - 2003 AD.
 9. Abu Daoud Suleiman bin Al-Shath, son of Isaac bin Bashir bin Shaddad bin Amr al-Azdi al-Sajstani (deceased: 275 Ah). My father David's tooth. Investigator: Mohammed Mohieddin Abdel Hamid Al-Nasher: Modern Library, Sidon, Beirut.
 10. Abu Zakaria Mohieddin Yahya bin Sharaf al-Nuclear (deceased: 676 Ah). The Curriculum Correctly Explained Muslim Bin Al-Hajjaj Publisher: House of Revival of Arab Heritage - Beirut Edition: 2nd, 1392
 11. Abu Zakaria Mohieddin Yahya bin Sharaf al-Nuclear (deceased: 676 Ah). The refinement of names and languages meant to publish, correct, comment on and interview its origins: Al-Ulama Company with the help of the Management of Meneri Printing.

12. Abu Abdul Rahman Ahmed bin Shoaib bin Ali Al-Khorasani, Women (Deceased: 303 Ah). Al-Majtaba from Sinn = The Younger Years of Women, Investigation: Abdul Fattah Abu Ghada Publisher: Office of Islamic Publications - Aleppo Edition: 2nd, 1406 - 1986
13. Abu Abdullah Ahmed bin Mohammed bin Hanbal bin Hilal bin Assad al-Shaibani (deceased: 241 Ah). Imam Ahmed bin Hanbal, Investigator: Ahmed Mohammed Shaker Publisher: Dar al-Hadith - Cairo Edition: First, 1416 Ah - 1995 AD.
14. Abu Abdullah Al-Bukhari Al-Jaafi. The mosque of Al-Masnad, the correct acronym for the prophet, peace be upon him, his age and his days = Sahih Al-Bukhari, investigator: Mohammed Zuhair bin Nasser al-Nasser, publisher: Dar al-Tuq al-Najat (pictured on the Bowl with the addition of numbering Muhammad Fouad Abdel Baki) Edition: 1st, 1422 Ah.
15. Abu Abdullah al-Hakim Mohammed bin Abdullah bin Mohammed bin Hamdawih bin Naeem bin Al-Hakam al-Dabbi al-Tahmani al-Nisaburi, known as Ibn al-Sale (deceased: 405 Ah). The Right-Hand Man, Investigation: Mustafa Abdelkader Atta Publisher: Scientific Book House - Beirut Edition: First, 1411-1990.
16. Abu Abdullah Mohammed bin Yazid al-Qazwini (deceased: 273 Ah). Sinan Ibn Maga Bin Maga
17. Abu Abdullah, Tunisian al-Maliki (deceased: 894 Ah). Sufficient healing guidance to establish the facts of Imam Ibn Arafa al-Wafia (explaining ibn Arafa's boundaries to the erythema). Publisher: Scientific Library. Edition: First, 1350H
18. Abu Isa Muhammad bin Isa bin Sura bin Musa bin Al-Dahak, Al-Tarmadi (deceased: 279 Ah). The Great Mosque - Sinan Al-Tarmadi Investigator: Bashar Awad Marouf Publisher: Dar al-Gharbi al-Islami - Beirut Publishing Year: 1998.
19. Abu Nasr Ismail bin Hammad al-Jawhari al-Farabi (deceased: 393 Ah). Al-Sahah Crown of Language and Arabic Journal: Ahmed Abdul Ghafoor Attar Publisher: Dar al-Alam for Millions - Beirut Edition: 4th 1407 Ah - 1987 AD.
20. Ismail bin Mohammed Amin bin Mir Salim al-Babani al-Baghdadi (deceased: 1399 Ah). The gift of the knowledgeable names of the authors and the effects of the works. Publisher: The Venerable Knowledge Agency was carefully printed in its magnificent 1951

- Printing Press Istanbul, reprinted by Ofst: The House of Revival of Arab Heritage Beirut- Lebanon.
21. Tajeddine Abdul Wahab bin Taqi al-Din al-Subki (deceased: 771 Ah). Grand Shafi'i layers. Investigator: Dr. Mahmoud Mohammed Al-Tanahi, Dr. Abdel Fattah Mohammed Al-Helou, Publisher: Hijr Printing, Publishing and Distribution. Edition: 2nd, 1413H
 22. Zainaldin Abu Yahya al-SinikiK Zakaria bin Mohammed bin Zakaria al-Ansari (deceased: 926 Ah). The demands are the most es more detailed of the student's student's student offering. Number of parts: 4 Publisher: Islamic Book House Edition: No Edition and No Date
 23. Shamseddine Abu Abdullah Mohammed bin Ahmed bin Osman bin Qaimaz al-Dhahabi (deceased: 748 Ah). Preservation ticket. Publisher: Beirut-Lebanon Scientific Book House Edition: First, 1419 Ah- 1998.
 24. Omar ibn Shaba (named Zaid) bin Obeida bin Ritta al-Nimeiri al-Basri, Abu Zeid (deceased: 262 Ah). The history of the city of Ibn Shaba. Achieved by Fahim Mohamed Shaltout. Printed at the expense of: Mr. Habib Mahmoud Ahmed - Jeddah. Year of publication: 1399 E.
 25. Ibn Zanjoyeh. Abu Ahmed Hamid bin Mukhald bin Qutaiba bin Abdullah al-Khorasani, known as Ibn Zanjoyeh (deceased: 251 Ah). Funds Investigation Dr. Shaker Dheeb Fayyad Associate Professor - King Saud University Publisher: King Faisal Center for Research and Islamic Studies, Saudi Arabia Edition: First, 1406 Ah - 1986 AD.
 26. Majd al-Din Abu Tahir Mohammed bin Yacoub al-Fayrouzabadi (deceased: 817 Ah). Surrounding Dictionary, Investigation: Heritage Investigation Office of the Al-Resala Foundation under the supervision of: Mohammed Naeem Al-Araksousi Publisher: Al-Resala Printing, Publishing and Distribution Foundation, Beirut-Lebanon Edition: 8th, 1426 Ah - 2005 AD.
 27. Cairo Arabic Language Complex (Ibrahim Mustafa / Ahmed Al-Zayat / Hamed Abdel Kader / Mohammed Al Najjar). Intermediate dictionary. Publisher: Dar Al Dawa
 28. Mohammed al-Amin bin Mohammed al-Mukhtar bin Abdul Qadir al-Jukni al-Shanjiti (deceased: 1393 Ah). The lights of the statement

- in the Qur'an's clarification in the Qur'an. Publisher: Dar al-Fikr Printing, Publishing and Distribution Beirut, Lebanon, 1415 Ah-1995.
29. Mohammed bin Ali bin Mohammed bin Abdullah al-Shawkani of Yemen (deceased: 1250 Ah). Torrent jars flowing on floral gardens, diffuser: Dar Ibn Hazm. Edition: First Edition
30. Mohammed Amim Al-Ihsan Al-Mujaddi Al-Barbati. Doctrinal Definitions, Publisher: House of Scientific Books (Re-Class for The Old Edition in Pakistan 1407 Ah - 1986) Edition: First, 1424 Ah - 2003
31. Musa bin Ahmed bin Musa bin Salem bin Isa bin Salem al-Hajjawi al-Maqdisi, then Salhi, Sharaf al-Din, Abu al-Naja (deceased: 968 Ah). Persuasion in the jurisprudence of Imam Ahmed bin Hanbal. Investigator: Abdul Latif Mohammed Musa Al-Sebki Publisher: Dar al-Ma'ari Beirut, Lebanon.
32. Websites: Website of the Moroccan Ministry of Endowments and Islamic Affairs <http://www.habous.gov.ma>



دراسة لأضرار التدخين الاجتماعية والصحية في ديوان "الرياض"

للشاعر عيسى ألبّي أبو بكر

A study of the social and health damages of smoking in the
Diwan of "Al-Riyadh" by the poet Issa Alabi Abu Bakr

إعداد

د. تاج الدين يوسف

Dr. Taj al-Din Yusuf

مدرس اللغة العربية - قسم اللغويات الإفريقية والأوروبية ، جامعة ولاية

كوارا ، ماليتي ، ولاية كوارا ، نيجيريا

Doi: 10.21608/jnal.2022.249290

٢٠٢٢ / ٥ / ٨	استلام البحث
٢٠٢٢ / ٥ / ٢٥	قبول النشر

يوسف ، تاج الدين (٢٠٢٢). دراسة لأضرار التدخين الاجتماعية والصحية في ديوان
"الرياض" للشاعر عيسى ألبّي أبو بكر. *مجلة الناطقين بغير اللغة العربية* ، المؤسسة
العربية للتربية والعلوم والآداب، مصر، مج(٥)، ع(١٤)، ص ص ٩٣ – ١٠٤.

<http://jnal.journals.ekb.eg>

دراسة لأضرار التدخين الاجتماعية والصحية في ديوان "الرياض" للشاعر عيسى
ألبي أبو بكر

المستخلص :

يهدف هذا المقال إلى دراسة قصيدة بعنوان "آفة العصر" في ديوان "الرياض"، تلك الأعمال الأدبية للشاعر عيسى ألبي أبوبكر، الأديب العبقرى من فرسان الشعراء المعاصرين باللغة العربية في ديار نيجيريا. تناول هذا المقال قضية من القضايا الاجتماعية – الصحية السائدة في المجتمع والمتمثلة في آفات التدخين وأضراره وآثاره السلبية في الأفراد والمجتمع في ديوان الشاعر عيسى ألبي أبو بكر، والمنهج المتبع في الدراسة المنهج الوصفى السائد في الدراسات الأدبية، والهدف منها إبراز دور الشعراء الأفارقة وخاصة من أبناء نيجيريا في خدمة المجتمع كغيرهم من الشعراء العرب المعاصرين. ويتبين من خلال الدراسة أن الشاعر عيسى ألبي أبو بكر له مكانة السيادة بين الأدباء الأفارقة المهتمين بالموضوعات الاجتماعية المعاصرة بغية لبناء المجتمع الإنساني وإرساء القيم.

كلمات مفتاحية: عيسى ألبي، الأدب، نيجيريا، الاجتماعية، التدخين

Abstract:

This article aims to study a poem entitled "The Scourge of the Age" in the Diwan of "Al-Riyadh", those literary works of the poet Issa Albi Abu Bakr, the genius writer of the modern poets in Arabic in Nigeria. This article dealt with one of the social-health issues prevalent in society and represented in the pests of smoking and its harms and negative effects on individuals and society in the poetry of the poet Issa Albi Abu Bakr, and the approach followed in the study is the descriptive approach prevalent in literary studies, the aim of which is to highlight the role of African poets, especially from the sons of Nigeria is in the service of society like other contemporary Arab poets. The study shows that the poet Issa Albi Abu Bakr has a dominant position among African writers interested in contemporary social issues in order to build a human society and establish values.

مقدمة:

تعد نيجيريا من أهم محطات الأدب، العربي شعرا ونثرا، في الغرب الأفريقي، تلك الحركات اللغوية والأدبية التي ابتدأت بدخول الإسلام، إذ من المعروف أن الإسلام حينما دخل، دخلت معه اللغة العربية وثقافتها. ولقد خرجت دراسة اللغة العربية وأدبها في ديار نيجيريا، منذ دخول الإسلام، الكثير من الأدباء شعرائهم وخطبائهم والكتّاب الذين يشار إليهم بالبنانة، ولهم مكانة عالية في مجالات العلوم والمعارف والدين والسياسة، بل لهم مكانة القيادة في كل تلك المجالات المذكورة^١. ومن الصعب، منذ انتشار الإسلام في نيجيريا، أن يفرق بين الأدباء وعلماء الدين، فالفقهاء هم الأدباء، والأدباء هم العلماء الفقهاء، ووجد من بين الفقهاء من يتصدون لنظم الشعر وقرضه على منوال ما ورثوه واستفادوه من الكتب العربية الواردة إليهم، ولا يكاد أن يوجد عالم في غرب أفريقيا وخاصة في نيجيريا إلا وله مساهمات أدبية وخاصة في مجال الشعر^٢. وكان من بين هؤلاء العلماء نفر مالوا بطبيعتهم إلى الأدب، فدرسوا ما وصل إليهم من كتب الأدب دراسة وافية، وجعلوا يتذوقون ويستلذونه ويحاولون محاكاته، ولكنهم لم يكون يدرسون الأدب بوصفه مستقلا بنفسه، بل على أنه جزء من تلك الثقافة الدينية التي يهدفون إليها^٣. وقد كان الشعر العربي في نيجيريا ولا يزال مواكبا لأحداث المجتمع، وقد استطاع الشعراء أن يأتوا بالقصائد والأبيات في شتى المواضيع والمواقف الشخصية والاجتماعية التي تحيط بهم.

وتتحدد مشكلة هذه الدراسة في التساؤل الرئيس عن دور الشعراء النيجيريين في معالجة المشاكل الاجتماعية وغرس القيم بين أفراد المجتمع، والأهداف من الدراسة إعلام العالم بعبقورية الشعراء النيجيريين ودورهم الفعال في خدمة المجتمع كغيرهم من الشعراء في مجال الأدب العربي المعاصر، والتعرف على مدى الاهتمام الذي أعطته الشعراء النيجيريون للموضوعات الاجتماعية بغية بناء المجتمع وخاصة في مجال الصحة، كما أن الدراسة تسعى نحو التعرف على كيفية تناول الشعراء النيجيريون مشاكل المجتمع والبحث عن الحلول لتلك المشاكل. وكان مجتمع الدراسة وعينتها الشعر العربي النيجيري المعاصر ممثلا في ديوان "الرياض" لعيسى ألبى أبو بكر لمكانته الثقافية والعالمية بين الشعراء باللغة العربية المعاصرين من الأدباء النيجيريين، وتم اختيار قصيدة "آفة العصر" باعتبارها أبيات شعرية محكمة تسعى نحوى معالجة مشكلة من مشاكل العالم السائدة وغرس الوعي الصحي والقيم. والدراسة بعد مقدمة

^١ شيخو أحمد سعيد غلادني، حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا من سنة ١٨٠٤ إلى ١٩٦٦م، كانو - نيجيريا -، ٢٠١١، ص ١٠١.

^٢ مامادو داميلي، الشيخ الشاعر حبيب عبد الله كُنْ، حياته وشعره، الجامعة الإسلامية بالنيجير، مجلة الجامعة الإسلامية بالنيجير، العدد ١٣، ٢٠٢١م، ص ٣٤٧.

^٣ المرجع السابق، ص ١-١.

تتكون من التعريف بالشاعر عيسى أَلبي، وشاعريته، وعرض للقصيدة، ودراسة تحليلية للقصيدة، والخصائص والسمات في القصيدة، ثم الخاتمة.

التعريف بعيسى أَلبي

يعد الشاعر عيسى أَلبي أبو بكر فارسا من فرسان الشعر العربي في ديار نيجيريا خاصة، ومن بين فحول الشعراء المحدثين في الغرب الأفريقي عامة، ولد عيسى أَلبي بمدينة كماسي في دولة غانا الغانية لأبوين نيجيريين عام 1953م، تعلم القرآن الكريم منذ صغره، ثم التحق بمركز التعليم العربي الإسلامي، أغنى، نيجيريا حيث حصل على الشهادين الإعدادية والتوجيهية (الثانوية)، حصل عيسى أَلبي على الليسانس والدكتوراه في اللغة العربية وآدابها من جامعة إلورن، ثم سافر إلى المملكة العربية السعودية حيث درس الدبلوم العالي في تدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها. وهو عضو من أعضاء هيئة التدريس بجامعة إلورن وأستاذ اللغة العربية والأدب في قسم اللغة العربية في الجامعة. يمتاز شعره بحسن الديباجة، وعلو البلاغة، وقوة المخيلة، والمقدرة الإبداعية النادرة.^٤

فاز أمير الشعراء الأفارقة بجوائز كثيرة، أعلاها الجائزة الأولى في مسابقة شعرية نظمتها جامعة الملك سعود بالرياض ضمن فعاليات أسبوع التوعية حول مضار التدخين عام 1991 م، ونشرت له قصائد مجلات أدبية في نيجيريا وبلاد العرب.

شاعريته

يحتل الشاعر عيسى أبوبكر مكانا مرموقا في الرعيل الأول من شعراء الجيل الجديد في ديار نيجيريا وغرب أفريقيا. وهو شاعر منتج، عرفتها الصحف ومحافل الأدب بحرارة شعره العاطفي الغني بالخيال والصور الشعرية النادرة. ولقد زرعت ملكة الشعر في الشاعر أَلبي أسباب أخرجه من طور الشاعر العادي إلى الشاعر العبقرى. ومن هذه الأسباب موهبة فذة يصرف بها أزمة الشعر حسب مشاعره وإرادته الحقيقية، ومنها البيئة الدراسية التي عاش وتعلم فيها في المرحلتين الإعدادية والتوجيهية وما يترتب على ذلك من تأثره بشيخه المرحوم العلامة آدم عبد الله الإلوري والذي يعد من كبار المفكرين في نيجيريا وغرب إفريقيا.

كان عيسى أَلبي شاعرا موهوبا، يتمتع بالقدرة على تصوير الواقع في علاقات جديدة، القدرة على تقمص أشياء وتمثيلها، لا يخلو شعره من نظرات فكرية في الحياة أو الأحياء، وهو يمثل أمير الشعراء باللغة العربية في ديار نيجيريا. فالشاعر أَلبي لا يعرف الغلو ولا المغالاة، ولا المبالغة التي قد تخرج به عن الحدود المعتدلة، إن شخصية

^٤ موسى عبد السلام مصطفى أبيكن، صور من الاتجاهات الوجدانية في شعر عيسى أَلبي أبي بكر الإلوري النيجيري، مجلة القسم العربي، جامعة بنجاب، لاهور - باكستان، العدد العشرون، 2013م، ص ١٣٩

الشاعر ألبى متنوعة المواهب ومختلف الأبعاد، فقد تطرق أبوابا وموضوعات شعرية مختلفة تتجلى فيها ومن خلالها عبقريته النادرة في ميدان الشعر والشاعرية، تلك الموضوعات التي هي مرآة صادقة تعكس عليها ثقافته وبراعته. والقارئ في شعر عيسى ألبى يجده متعدد الموضوعات، ولم تقتصر على ما اعتاده الشعراء قديما من مديح وفخر وغزل ورثاء وما شابهها،^٥ بل خرج، على الرغم من أنه غير عربي، إلى موضوعات أخرى أقرب إلى حياة الناس العادية الجارية، فقد قال الشعر في أحوال المجتمع ونقد بعض وجوه العيب فيه.

عرض للقصيدة

إن موضوع الأدب وما يتفرع منه من الشعر والنثر وعلاقته ببناء المجتمع دراسة مستمرة ومتواصلة من قدم الزمان فأصبح يتناول العلوم الإنسانية والاجتماعية وغيرها من العلوم. فالإنسان لا يعيش في الفراغ وشخصية بمظاهرها المختلفة إنما هي نتاج تفاعل بين الفرد وبيئته وما يكتنفه المجتمع الذي يعيشه من الأبعاد. وهذه هي قصيدة "آفة العصر" من الأعمال الأدبية الشعرية لعيسى ألبى أبو بكر.

آفة العصر فتنة المسكين	أيها الشعر ثر على التدخين
وقد جزه بـداء دفيئ	جعل الصدر مرتعا لجراثيم
وتراه يسعى له كـل حين	متعاطيه كان رهن هواه
ليلقى بنفسه في فتون	كيف يحلو لعاقل يبذل المال
كيف تلتاث بالدخان الميين؟	وسماء القلوب أنقى صفاء
كرعد بدون ماء هتون	وسعال دويه يحدث الرعب
كأن الجروح تحت الجفون	ودموع مريرة تملأ العين
الأنفاس تنساب عنوة بالأنسين	وبلاء يظل يختنق
لاهثا فيه مسحة المفتون	حبه كلما تمشى تـراه
يصعد طودا بقلبه الموهون	تتعالى أنفاسه كالذي
بون عيب يدنى لباب المنون	إن تلويث صفحة القلب بالكر
منعت من ظهور ذاك الجبين	زره في بيته تجدد أن سحبا
هي في عزلي شفاء شجوني	قال سيجـارتي تنشط يومي
فلهذا يهفو إليـها حنيني	هي أشهى من الأماني العذاب
كلـما اشتد لذعها كالأتون	وبها أنفت الكـأبة عني
فجسمي يزرى بليث العرين	كذب الطب حين حملها الداء
عن ظنون تهوى أمام يقيني	ليس في كـفـها المنايا فكفوا

^٥ حسين ضاذلي وغيره، الأدب والنصوص، المملكة العربية السعودية، وزارة المعارف، ١٩٨٣، ص ٢١

إن إصراره العنيد على التبغ
فارحموا حاله الكئيبة يا قو
مضر فهل له من معــــين؟
مى فقد كان مثــــل شاة قفين
وجزى الله كل من قــــام خيرا
ليقينا مضرة التدخــــين^٦

دراسة تحليلية للقصيدة

في الأبيات كثرة واضحة من الصور والرسوم وفيها كثير من الطرافة والدقة لا من حيث إنه ابتدعها ابتداء، ولكن من حيث طريقة عرضه وإخراجه لها ولم يمسح التكلف عليها، ولا غرو في ذلك، فلقد كان للشعراء باللغة العربية من أبناء نيجيريا حظ كبير في قرض الشعر وتوظيفه لمواكبة كل حدث أو مناسبة في المجتمع، واستطاعوا بملكتهم الشعرية الكبيرة في خلق الكلمات، واستنباط المعاني، كما استطاعوا أن يأتوا بالقصائد والأبيات في شتى المواضيع والمواقف الشخصية والاجتماعية التي تحيط بهم.^٧ يلاحظ في مطلع القصيدة أن الشاعر جعل الاستهلال واضحا بألفاظ سهلة تجمع مسامع القارئ وتجعلهم يشربون إلى ما وراءه. رسم مطلع القصيدة فكأنه يخاطب إنسانا مثله وهو يقول:

أيها الشعر ثر على التدخين
آفة العصر فتنة المسكــــين

ومن الواقع أن الأدب بمختلف أنواعه يؤدي تارة حقائق في العلوم والفلسفات وتارة عواطف قوية تسند إلى حقائق الحياة فتبحث في العقول يقظة وفي الخيال سموا،^٨ وذلك شأن قصائد عيسى ألبى، فقد قام شاعرنا بدور تعليمي من خلال ما ينقله من أفكار وآراء حول التدخين وما وراءه من الأضرار الصحية والاجتماعية، تلك الأفكار المتصفة بالصحة والصدق، وهي لا محالة نابعة من تجربة الأديب الحياتية وحمولاته الفكرية كما يبدو في الأبيات الآتية، وفيها يذكر القارئ والمتلقي بأضرار التدخين ومساوئه، وفي القصيدة يعبر عن التبغ وما يتصل به من تأثيرات سلبية على الجسم والبيئة وهو يقول:

جعل الصدر مرتعا لجراثيم
متعاطيه كان رهن هواه
وقد جزه بداء دفيــــن
وتراه يسعى له كل حين
كيف يحلو لعاقل يبذل المال
ليلقى بنفسه فى فتون؟
وسماء القلوب أنقى صفاء
كيف تلتاث بالدخان المبيــــن؟

^٦ عيسى ألبى أبوبكر، الرياض، الطبعة الاولى، إلورن : مطبعة ألبى، 2005 م، ص11
^٧ موسى عبد السلام مصطفى أبيكن، صور من الاتجاهات الوجدانية في شعر عيسى ألبى أبي بكر الإلوري النيجيري، مجلة القسم العربي، جامعة بنجاب، لاهور -باكستان، العدد العشرون، 2013م، ص ١٣٩

^٨ حسن الأشرف، وظائف الأدب الهادف،

وسعال دويه يحدث الرعب	كرع بدون ماء هتون كأن الجروح تحترق
ودموع مريرة تملأ العين	الجفون
وبلاء يظل يختنق الأنفاس	تنساب عنوة بالأنسـين
حبه كلما تمشى تـراه	لا هثا فيه مسحة المفتون
تتعالى أنفاسه كالذي يصعد	طودا بقلبه الموهون
إن تلويث صفحة القلب بالكر	بون عيب يدنى لـباب المنون

وفي هذه المجموعة من الأبيات تحدث الشاعر عن الداء وأعراض التدخين وما فيه من الأضرار والآلام، وقد وفق شاعرنا الملهم، إذ إن للتدخين تأثيراً سلبياً خطيراً على صحة الرئة، بدءاً من السرطان وحتى أمراض الجهاز التنفسي المزمنة حسب تقرير الأطباء، وقد أكد الأطباء والخبراء أن التدخين هو المسؤول عن أكثر من ثلثي وفيات سرطان الرئة على مستوى العالم، ويضاف إلى ذلك أن التدخين يسبب الانسداد الرئوي المزمن، تلك حالة مرضية يؤدي فيها تراكم المخاط المملوء بالقليح في الرئتين إلى حدوث سعال مؤلم وصعوبات في التنفس.^٩

وفي أبيات أخرى يذكر الشاعر سلبيات التدخين علي البيئة المحيط بالمـدخن. فبمجرد التعرّض لدخان التبغ (التدخين) غير المباشر في المنزل أو في مكان العمل يزيد من خطر الإصابة وتلويث البيئة. قال الشاعر:

زره في بيته تجــــد أن سحبا منعت من ظهور ذاك الجبين
إن الشخص غير المدخن كثيراً ما تعرض لأضرار التدخين ودخانه وذلك من خلال استنشاق الدخان الناتج من تدخين شخص آخر قريب منه، أو في محيط المكان الذي يعيش فيه. وهذا البيت يصدق الدراسات الميدانية في مجال الطب والصحة، إذ أكدت نتائج الدراسات الصحية حيث يُعدُّ دخان التدخين نوعاً خطيراً للغاية من تلوث الهواء، ويحتوي دخان التدخين على أكثر من ٧٠٠٠ مادة كيميائية، منها ٦٩ مادة معروفة أنها تسبب السرطان.^{١٠} فشارب الدخان يسيء إلى مجتمعه، وإلى كل من جالسه لأنه ينفخ الدخان في وجوه الناس فيخنق أنفاسهم وبضايقهم برائحته الكريهة ويفسد الجو

^٩ ينظر: أضرار التبغ على صحة الرئة، منظمة الصحة العالمية، المكتب الإقليمي لشرق المتوسط، <http://www.emro.who.int/ar/tfi-campaigns/2019/index.html>

٢٠٢٢/٥/١٢م

^{١٠} ينظر: أضرار التبغ على صحة الرئة، منظمة الصحة العالمية، المكتب الإقليمي لشرق المتوسط،

من حولهم.^{١١} إن التدخين من أكثر الظواهر انتشاراً وشيوعاً بين الأشخاص في مختلف مناطق العالم في وقتنا الحاضر، وكثيراً ما يهدف الأشخاص المدخنون من تلك العملية إلى الترويح عن أنفسهم والتخلص من الضغوطات اليومية والحياتية، عن طريق التدخين. وفي ذلك يقول الشاعر توبيخاً وترحماً للأفراد المدخنين:

قال سيجــــــــــــــــارتي تنشط يومي	هي في عزلتي شفاء شجوني
هي أشهى من الأمانى العذاب	فلهذا يهفو إليها حنيني
وبها أنفث الكــــــــــــــــآبة عنى	كلما اشتد لذعها كالأتون
كذب الطب حين حملها الداء	فجسمى يزرى بليث العرين
ليس في كفــــــــــــــــها المنايا فكفوا	عن ظنون تهوى أمام يقيني

ويؤكد الشاعر في الأبيات على أن إصرار المدخن على تعاطيه واستمراره له يؤدي، بصداقاً لتقرير الأطباء، إلى إصابة الإنسان الذي يشكل أساس المجتمع بأزمات وأمراض خطيرة، وربما تؤدي في نهاية المطاف بحياته، كأمراض الجهاز التنفسي، والرتنين، والقلب، وتعتبر أساساً للإصابة بالجلطات بأنواعها العديدة: الدماغية، والسكتة القلبية، وتصلب الشرايين، وهل من معين لهذا المدخن المسكين لترك تعاطيه والابتعاد عن التدخين، وهل من مساعد على الإقلاع عن التدخين توعيته بأضراره؟

إن إصراره العــــــــــــــــنيد على التبغ	مضر فهل له من معــــــــــــــــين؟
فارحموا حــــــــــــــــاله الكئيبة يا قومي	فقد كان مثــــــــــــــــل شاة قفين
وجزى الله كل من قام خيراً	ليقيناً مضره التدخين

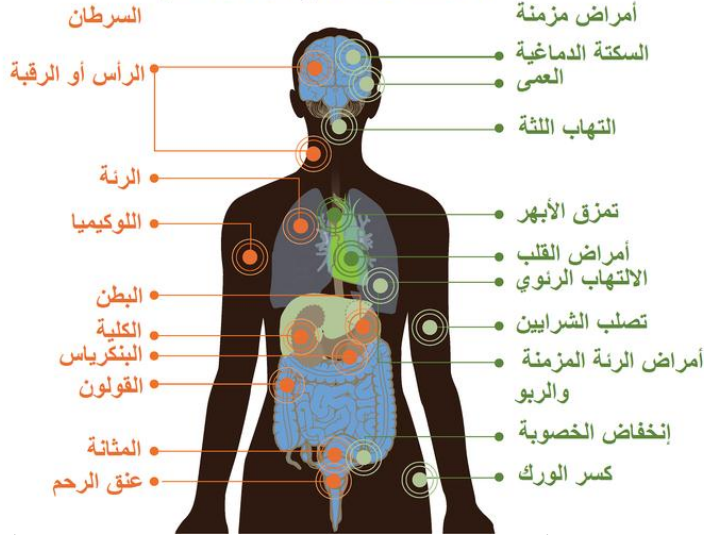
وفي البيت الأخير الدعاء من الشاعر لكل من سعى وأسهم في التوعية إحياء المجتمع لمكافحة المخدرات، والتحذير من مخاطرها على الأفراد والمجتمع، وتأثيرها على البناء المجتمعي. ذلك لأن التدخين لها جملة لا متناهية من الآثار السلبية الخطيرة التي تهدد سلامة كافة المجالات الحياتية، سواء على الصحة النفسية أو الجسدية للإنسان، أو على صعيد البيئة والحضارة واستقرار المجتمع المرتبط باستقرار الحياة الاجتماعية والاقتصادية.

^{١١} أضرار التدخين الاجتماعية والاقتصادية، جريدة العرب الاقتصادية الدولية، الثلاثاء، ١٩ أبريل ٢٠٢٢ 18 | رَمَضان ١٤٤٣

https://www.aleqt.com/2011/08/04/article_566255.html

مخاطر التدخين

يمكن للتدخين تدمير أي جزء من الجسم



الصورة تبين أضرار التدخين على جسم الإنسان حسب تقرير الأطباء^{١٢} وقد أشار مدير عام منظمة الصحة العالمية، تيدروس أدهانوم غيبريسوس، إلى ضرورة الإقلاع عن التدخين، وأنه أفضل ما يمكن أن يقوم به المدخنون لتقليل خطر الإصابة بفيروس كورونا هذا، فضلا عن خطر الإصابة بالسرطان والأمراض القلبية وأمراض الجهاز التنفسي، وقد حث جميع البلدان على القيام بدورها من خلال الانضمام إلى حملة المنظمة وتهيئة بيئات خالية من التبغ والتدخين وتزويد الأفراد بالمعلومات والدعم والأدوات التي يحتاجون إليها للإقلاع عن التدخين، إلى الأبد، ولا شك أن التدخين آفة من الآفات الاجتماعية المعاصرة.^{١٣}

ومن حسن الإسلام وقواعده العامة أنه لا يجوز للإنسان أن يتناول شيئا يضره ويهدد حياته. فإن المسلم لا يمتلك نفسه، حتى يتصرف فيها كما يشاء، ولو كان في هذا

¹²[https://ar.wikipedia.org/wiki/ملف:Risks_form_smoking-smoking_can_damage_every_part_of_the_body_\(ar\).png](https://ar.wikipedia.org/wiki/ملف:Risks_form_smoking-smoking_can_damage_every_part_of_the_body_(ar).png)

¹³ منظمة الصحة العالمية تواصل حملتها لمساعدة الملايين على الإقلاع عن التدخين ورفع مستوى الوعي بأضراره، <https://news.un.org/ar/story/2021/05/1077122>، ٢٧/٥/٢٠٢٢م

التصرف ما يقضي على حياته، إنه هو ملك الله، وحياته حق لمن وهبه الحياة، وصحته من نعم الله عليه، فلا يحل له أن يستهين بها أو يفرط فيها.^{١٤}

الخصائص والسمات في القصيدة

حسن الاستهلال

وفي قراءة لهذه القصيدة، يتبين فيها حسن الاستهلال، وهو أن يجعل المتكلم مبدأ كلامه عذب اللفظ، حسن السبك، صحيح المعنى، يشتمل على إشارة لطيفة إلى المقصود.^{١٥} فيجد القارئ أن الشاعر جعل الاستهلال واضحاً، فقد رصعه بألفاظ سهلة تجمع مسامع القارئ وتجعلهم يشربون إلى ما وراءه. الألفاظ والأسلوب

هذه الأبيات أسلوبها سهل الألفاظ، تبدو فيها الفصاحة العربية الأصيلة، وهذه الأبيات مليئة بالحقائق الاجتماعية والعلمية، وقد عبر الشاعر عن معانيها الواضحة القريبة بأسلوب سهل بعيداً عن الغرابة في اللفظ والتعقيد في التراكيب. ومما يلاحظ على معاني القصيدة، أنها معان واضحة بسيطة ليس فيها تكلف، ولا بعد، ولا إغراق في الخيال، سواء حين يتحدث عن أحاسيسه، كما أن الشاعر يستقي أخيلته من العالم الحسي المترامي حوله، والقصيدة كاملة الصياغة، فالتراكيب تامة، ولها رصيد من المدلولات تعبر عنها، وهي في الأكثر مدلولات حسية، والعبارة تستوفي أداء مدلولها، فلا قصور فيها ولا عجز.

المضمون

إن الأدب فن إنساني رفيع، يصور الكون وما ينطوي عليه من الكائنات تصويراً يتفاعل مع أحداث الزمن، ويتأثر بحوادثه، فهو كتاب تتلو الأجيال المتعاقبة على صفحاته كل صغير وكبير مما يستجد. والأديب الناجح من يحقق عمله هذه الغاية السامية ويتجاوب مع متطلبات الزمان والمكان. يجد القارئ أن القصيدة تتضمن قضايا التنمية الاجتماعية، تلك عمليات تغيير اجتماعي تلحق بالبناء الاجتماعي ووظائفه بغرض إشباع الحاجات الاجتماعية للأفراد، تلك مساعي تغيير الأوضاع الاجتماعية التي لم تعد تسير روح العصر والقيم الإنسانية، التنمية الاجتماعية التي تتكون من إصلاح أوضاع سائدة في مجتمع.^{١٦}

^{١٤} مناع خليل القطان، الحديث والثقافة الإسلامية، المملكة العربية السعودية، وزارة المعارف، ١٩٧٧م، ص ٢٣٦

^{١٥} حفني ناصيف وآخرون، دروس البلاغة، القاهرة، مكتبة الهدى المحمدي، ٢٠١١م، ص ١٦٣.

^{١٦} عبد الباسط محمد حسن، التنمية الاجتماعية، القاهرة، مكتبة وهبة، سنة ١٩٨٠م، ص: ٩٨

الخاتمة

من الأبعاد التي تتضمنه ديوان الرياض لعيسى ألبى الموضوعات الاجتماعية والتي يستمد قوتها وديمومتها من المجتمع، فقد عبر الشاعر عن حياة الناس ومشاكل المجتمع وقضاياها. ومن القضايا التي تناولها الشاعر عيسى ألبى "أفة العصر" المتمثلة في التدخين وآثاره على الجسم والمجتمع. وقد أكد الشاعر في قصيدته على أن إصرار المدخن على تعاطيه واستمراره له يؤدي إلى إصابة الإنسان الذي يشكل أساس المجتمع بأزمات وأمراض خطيرة، وربما تؤدي في نهاية المطاف بحياته، كأعراض الجهاز التنفسي، والرنجتين، والقلب، وهذه الفكرة الأدبية تتماشى مع الإنذارات الصحية التي يقوم بها الأطباء ومنظمة الصحة العالمية لأجل مكافحة التدخين وما يترتب على تعاطيه من الأمراض وتأثيراته السلبية على المجتمع.

ومن خلال القصيدة يتبين أن الشاعر النجيري عيسى من أقدر الشعراء المعاصرين على تصوير الحوادث الاجتماعية ومن فرسان الشعراء باللغة العربية في الغرب الإفريقي وبين الشعراء النيجيريين على وجه الخصوص، فقد رسم شعرا تكلم فيه الحقائق والوقائع الاجتماعية، إن شخصية الشاعر ألبى متنوعة المواهب ومختلف الأبعاد، فقد تطرق أبوابا وموضوعات شعرية مختلفة تتجلى فيها ومن خلالها عبقريته النادرة في ميدان الشعر والشاعرية.

المراجع

- أضرار التبغ على صحة الرئة، منظمة الصحة العالمية، المكتب الإقليمي لشرق المتوسط، <http://www.emro.who.int/ar/tfi-campaigns/2019/index.html>، ٢٠٢٢/٥/١٢ م
- أضرار التدخين الاجتماعية والاقتصادية، جريدة العرب الاقتصادية الدولية، الثلاثاء، ١٩ أبريل ٢٠٢٢ | 18 رَمَضان ١٤٤٣، https://www.aleqt.com/2011/08/04/article_566255.ht
- حفني ناصيف وآخرون، دروس البلاغة، القاهرة، مكتبة الهدى المحمدي، ٢٠١١ م، ص ١٦٣.
- حسن الأشرف، وظائف الأدب الهادف، https://kl28.com/writers_club/view/mag619
- حسين ضازلي وغيره، الأدب والنصوص، المملكة العربية السعودية، وزارة المعارف، ١٩٨٣، ص ٢١
- شيخو أحمد سعيد غلادنتي، حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا من سنة ١٨٠٤ إلى ١٩٦٦ م، كانو - نيجيريا -، ٢٠١١، ص ١٠١.
- عبد الباسط محمد حسن، التنمية الاجتماعية، القاهرة، مكتبة وهبة، سنة ١٩٨٠ م، ص: ٩٨
- عيسى ألبى أوبكر، الرياض، الطبعة الأولى، الورن : مطبعة ألبى، 2005 م، ص 11
- موسى عبد السلام مصطفى أبيكن، صور من الاتجاهات الوجدانية في شعر عيسى ألبى أبي بكر الإلوري النيجيري، مجلة القسم العربي، جامعة بنجاب، لاهور - باكستان، العدد العشرون، 2013 م، ص ١٣٩
- مامادو داميلي، الشيخ الشاعر حبيب عبد الله كُنْ، حياته وشعره، الجامعة الإسلامية بالنيحير، مجلة الجامعة الإسلامية بالنيحير، العدد ١٣، ٢٠٢١ م، ص ٣٤٧
- المرجع السابق، ص ١-١.
- موسى عبد السلام مصطفى أبيكن، صور من الاتجاهات الوجدانية في شعر عيسى ألبى أبي بكر الإلوري النيجيري، مجلة القسم العربي، جامعة بنجاب، لاهور - باكستان، العدد العشرون، 2013 م، ص ١٣٩
- منظمة الصحة العالمية تواصل حملتها لمساعدة الملايين على الإقلاع عن التدخين ورفع مستوى الوعي بأضراره، <https://news.un.org/ar/story/2021/05/1077122>، ٢٠٢٢/٥/٢٧ م
- مناع خليل القطان، الحديث والثقافة الإسلامية، المملكة العربية السعودية، وزارة المعارف، ١٩٧٧ م، ص ٢٣٦



مجتمع المعرفة ودورة في تنمية الأسرة والمجتمع

The knowledge society and its role in the development of the family and society

إعداد

د. سعاد محمد الجاسم

Dr. Souad Mohammed Al-Jassem

Doi: 10.21608/jnal.2022.249291

٢٠٢٢ / ٥ / ٨	استلام البحث
٢٠٢٢ / ٥ / ٢٥	قبول النشر

جاسم ، سعاد محمد (٢٠٢٢). مجتمع المعرفة ودورة في تنمية الأسرة والمجتمع. *مجلة الناطقين بغير اللغة العربية* ، المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب، مصر، مج(٥)، ع(١٤)، ص ص ١٠٥ – ١١٨.

<http://jnal.journals.ekb.eg>

مجتمع المعرفة ودورة في تنمية الأسرة والمجتمع

المستخلص:

لاشك أن بناء مجتمع المعرفة يعد اليوم من أولويات العالم المتحضر بكل جوانبه وأبعاده ، ومن أولويات بناء مجتمع المعرفة هو البحث العلمي بكل أشكاله وصوره . والبحث العلمي هو النواة التي تركز عليها بلدان العالم المتقدمة منها والنامية ، وتتسابق الدول فيما بينها للحصول على قصب السبق في تملك ناصية العلم ، مما جعل تلك الدول أن تسخر جميع الإمكانيات المتاحة في خدمة العلم والعلماء ورصد الأموال اللازمة للدراسات والبحوث التي يمكن لها أن ترتقي بالنتائج القومي للبلد . والحقيقة التي من شأنها أن تسهم في رقي البلدان النامية للدخول في التسابق المعرفي ، هو توسيع نطاق البحث العلمي بحيث يمكن لتلك البلدان أن تكون في قائمة الصدارة ضمن البلدان المتقدمة، لكن السؤال الذي يدور في الأذهان هو إلي أي مدى يمكن أن تقوم الحكومات والشعوب في تسخير إمكانياتها لهذا الغرض ؟ وكيف يمكن لها الاستفادة من مخزونها العلمي لذلك؟

Abstract:

There is no doubt that building the knowledge society is one of the priorities of the civilized world in all its aspects and dimensions. One of the priorities of building the knowledge society is scientific research in all its forms and forms. Scientific research is the nucleus of the developed and developing countries. As a result, these countries should harness all available resources in the service of science and scientists and allocate the necessary funds for studies and researches that can improve the national output of the country. The fact that developing countries can advance in the knowledge race is to expand scientific research so that they can be at the forefront of developed countries, but the question is how far governments and people can harness Their possibilities for this purpose? How can it benefit from its scientific stock.

المقدمة

إنَّ الوصول للمعلومة الموثوقة ودراسة القضايا المعاصرة وفق منهجية واضحة المعالم هو من أكثر ما يهتمُّ الطلبة والأساتذة الأكاديميين وكل متخصص في مجاله، ولذلك يعد البحث العلمي كأداة موضوعية للكشف عن الحقائق وتفنيد البراهين، حيث ترسخ المعلومات به ويتسع أفق الاتفاق والمعرفة المنهجية المستندة على البحث والتمحيص والدليل المنطقي والإحصاء والاستطلاع ، وللمزيد سنتعرف على مفهوم البحث العلمي وأنواعه وأساسياته.

المبحث الأول / الاطار العام للدراسة

مشكلة البحث

تتجلى مشكلة البحث في ان بناء مجتمع المعرفة يعد اليوم من اولويات العالم المتحضر بكل جوانبه وابعاده . وتتمثل مشكلة البحث في

- بناء مجتمع المعرفة بالبحث العلمي بكل اشكاله وصوره
- تسابق الدول فيما بينها للحصول على ناصية العلم

اهمية البحث

تأتي اهمية البحث من البحث العلمي وتوسيع نطاقه بحيث يمكن للبلدان ان تكون في قائمة الصدارة ضمن البلدان المتقدمة

اهداف البحث

- ١- تقديم المعرفة عن طريق البحث العلمي من اجل توفير ظروف افضل لبقاء الانسان وامنه ورفاهيته .
- ٢- تسخير الطاقات لأجل الاسراع بالنهضة التكنولوجية وبلوغ ذروتها .

تساؤلات البحث

- هل هناك ضرورة للبحث العلمي .
- كيف يستفيد المجتمع من البحث العلمي للوصول الى التنمية .

حدود البحث

- الحدود الموضوعية : البحث العلمي ودوره في التنمية
- الحدود الزمانية : ٢٠٢٠

منهج البحث

المنهج الوصفي

مجتمع وعينة البحث

البحث العلمي بمناهجه واجراءاته من الامور الضرورية في اي حقل من حقول المعرفة فيجب الالمام بمناهج البحث العلمي المختلفة والقواعد الواجب اتباعها من تحديد مشكلة البحث العلمي ووصفها إجرائياً مروراً باختيار منهجية محددة لجمع البيانات المتعلقة بها وانتهاء بتحليل البيانات واستخلاص النتائج من الأمور الهامة في كل العلوم النظرية والتطبيقية.

اجراءات البحث

استخدام المعلومات التي تبحث عن البحث العلمي وانواعه واهميته ودوره في التنمية للمجتمع .

الدراسات السابقة

• واقع البحث العلمي في الدول النامية مقارنة بالدول المتقدمة في توطين التكنولوجيا الصين والماليزيا واليابان [أنموذجاً] / م.م. خوشي عثمان عبداللطيف .كلية التجارة / جامعة السليمانية .

The reality of scientific research in developing countries compared to developed countries in the localization of technology [Almelisea China and Japan] model Ass.Prof. Khoshi O. Abdula/ College of Comrece\ Sulaimani Univesity.

مستخلص الدراسة السابقة

إن هذا البحث يتناول واقع البحث العلمي في الدول النامية والدول العربي، مقارنة بالدول المتقدمة، حيث تتركز جهود البحث والتطوير في المراكز الحكومية العربية (الجامعات - مراكز البحوث ويلاحظ غياب دور القطاع الخاص في عملية البحث والتطوير وفي تمويلها . كما تم التطرق إلى العوامل التي أوصلت المجتمع العربي إلى مستواه العلمي الحالي، والصعوبات التي تعيق الباحث العربي وتحد من إنتاجه العلمي ومن أهم هذه الصعوبات: عدم توفر التمويل المالي اللازم وعدم الاهتمام بالباحث العربي وكذلك النظام السياسي وغياب السياسات والاستراتيجيات العلمية الواضحة.

المبحث الثاني / الدراسة النظرية

تعريف البحث العلمي

تعددت تعريفات البحث العلمي

ومنها أنه يمثل الطريقة المنهجية التي تتبع عدداً من الخطوات المتتالية ابتداءً من معرفة المشكلة وتحليلها، وجمع البيانات وتوثيقها بهدف استخلاص جملة من الحلول المنبثقة عن التحليل والمقارنة والإحصاء. [١] وهو أيضاً عملية تقصّي منظمة ومنهجية بقصد التأكد من صحة الحقائق، أو إثبات حقائق جديدة، بشرط اتباع الأساليب والمناهج العلمية أثناء القيام بالبحث العلمي وإعداد تقاريره ونتائجه. [٢]

وينظر البعض إلى البحث العلمي على أنه دراسة منهجية مبنية لتلبية نقص معرفي ما، أو لتجميع وربط أمور ومفاهيم متفرقة أو مختلطة في الفهم أو التطبيق، أو لتحقيق إضافة معرفية وعلمية جديدة مستنبطة من إجراءات البحث العلمي ونتائجه. [٣]

أهداف البحث العلمي

تتنوع أهداف البحث العلمي وفقاً لنوعه وطبيعة النتيجة التي سيتوصل إليها، ومن أهم أهداف البحث العلمي ما يلي: [٤]

- ١- الوصول إلى حقائق جديدة: إنَّ استخدام التفكير المنهجي وتحليل الظواهر والمشكلات والسعي لإيجاد حلول محققه لها، مع الاستناد على الحقائق الموثوقة يتيح لنا استنتاج حقائق وتوصيات جديدة.
- ٢- الوصف العلمي: إنَّ تحليل ظاهرة ما وتتبع أساسها وتفنيد مسبباتها وتحليل أعراضها للوصول إلى الوصف العلمي الدقيق لها، باكتمال أجزاء البحث العلمي وتحليل المشكلة أو الفرضية ومكوناتها وتداعياتها الظاهرة والمستترة والتوصل لوصف موضوعي يشمل التوجيهات للحلول الأمثل.
- ٣- التنبؤ بالمستقبل: وهو التنبؤ المبني على الدليل العلمي والمنهجية الموثقة والخطوات المنطقية المتتالية، كل ذلك سيكفل الوصول إلى معرفة مستقبلية أقرب ما تكون للحقيقة مع البحث العلمي الصحيح.
- ٤- تقديم حلول منطقية للمشكلات: يدور موضوع البحث العلمي حول مشكلة مستعصية، يلجأ الباحث لتفنيدها وحلها عن طريق البحث العلمي وطرح الفرضيات والملاحظة والقياس وغيرها، إلا أنه يتمكن أخيراً من طرح جملة من الحلول المدعومة بالدلائل العلمية والتجارب الميدانية المؤكدة على جدواها وصلاحيتها.
- ٥- الابتكار والتجديد: إذا نظرت إلى الاختراعات والمنتجات عالية الجودة ستجد أنها مصممة وفق معايير مثالية نتجت عن عدد هائل من الأبحاث والتجارب، فاستناد الأبحاث على حقائق ومعلومات وتجارب جديدة سيجتنب للباحث الوصول لنتائج مبتكرة وجديدة مبنية على آخر ما آلت له الوقائع والأبحاث.
- ٦- المعرفة: فالإنسان لا يتطور مع الجهل ولا ينافس غيره بالركود، ولذلك فإنَّ البحث العلمي أداة فعالة لتطوير مهارات الإنسان ومعارفه، ليكتسب المعرفة العلمية الموثقة والمثبتة ميدانياً، وتلك هي المعرفة المثبتة بالتجربة العملية والدليل الموثق.

أنواع البحث العلمي

- للبحث العلمي عدة أنواع تتشكل حسب الأساس الذي يبنى عليه البحث، وفيما يلي تفصيل تلك الأسس والأنواع: [٥]
- حسب الغرض منها تتمثل أنواع البحث حسب الغرض منها في ما يلي:
- ١- البحوث النظرية: وهي تلك البحوث التي تعنى بالنواحي العلمية، والتي يستخلص منها مجموعة من القوانين والنظريات المحققة، وهي تساهم في نمو المعارف وتخدم الدراسات وتؤسس أرضية موثقة للعلوم التطبيقية.
 - ٢- البحوث التطبيقية: وهي البحوث التي تختص بالشؤون العملية وتطبيق المعرفة المتوفرة للوصول إلى معارف جديدة أكثر فاعلية، أو لحل المشاكل الميدانية وتطوير أساليب العمل لتحقيق إنتاجية أعلى.
- حسب الأسلوب المستخدم فيها تتمثل أنواع البحث حسب الأسلوب المستخدم فيها في ما يلي:

١- البحوث الوصفية: حيث تستخدم لوصف الظواهر ورصد ظروفها المكانية والزمانية وجمع الحقائق عنها، وهي أيضاً تزود بتوصيات لتصويب الوضع الحالي ضمن معايير وقيم يجب توفيرها وتطبيقها عملياً للوصول للوضع المنشود، وتستخدم في هذا النوع من البحوث عدة أساليب ومنها: الملاحظة والمقابلة الشخصية واختبارات الاستقصاء الورقية أو الالكترونية.

٢- البحوث التاريخية: وهي البحوث التي تتخذ الشكل الوصفي ولكن للأحداث والظواهر التي حدثت وانتهت، فهي تعنى بتاريخ الماضي وتحليل تداعيات تلك الأحداث، وتستخلص منها الأساليب الجديدة لتلافي العثرات التي حدثت سابقاً والتنبؤ بمستقبل متجدد، حيث يتركز جهد الباحث في تحسين التصورات والأفكار والسلوكيات العامة للأفراد والمؤسسات، إذ يعتمد على نوعين من المصادر للحصول على المعلومة وهما المصادر الأولية والمصادر الثانوية، وذلك يتطلب جهداً مضاعفاً في الاستقراء والتحصيص.

٣- البحوث التجريبية: هي تلك البحوث التي تحلل المشاكل والظواهر وفق المنهج التجريبي، القائم على الملاحظة وطرح الفرضيات وضبط تفاصيلها للتحقق من صحتها ووجودها فعلياً، فالباحث يضبط كل المتغيرات ويحدد تفصيلاتها ليتحكم بها فيما يخدم محتوى بحثه ولعل هذا أكثر ما يميز البحوث التجريبية عن غيرها.

عناصر البحث العلمي

للبحث العلمي أربعة عناصر رئيسية، يصنف بوصفه نظام سلوكي متكامل وهي كالآتي: [٦] ١- المدخلات: وتتمثل بمعرفة الباحث لتفاصيل المشكلة وشعوره بأهميتها وضرورة السعي لحالها، بالإضافة لدرايته بالبحث العلمي وإطلاعه لتفاصيل القضية التي يدور حولها البحث العلمي من مفاهيم ومصطلحات ومصادر المعلومات، كل ذلك سيسهم في تحقيق نتائج مميزة وسيزيد القدرة على التصدي للصعوبات أثناء عملية البحث ومعالجتها.

٢- العمليات: من هنا يتمكن الباحث من اختبار التقنيات التي أعدها للبحث، فهي تشمل منهجية بحث المشكلة والتصميم الإحصائي المناسب لها، وتشمل أيضاً الأجهزة والأدوات المطلوبة وطرق قراءة الإحصاءات وعدد العينات المطلوبة وأساليب التحليل الإحصائي لها.

٣- المخرجات: يتم هنا جمع النتائج والتوصيات بما في ذلك نتائج الإحصائيات واستطلاعات الرأي والتجارب المخبرية إن وجدت، ليتم عرض كافة النتائج بطريقة منظمة في جداول حسب بنود البحث وتصنيفاته.

٤- الضوابط التقييمية: تتضمن تقييم البحث العلمي بعناصره الثلاث السابقة ومراحلها، من قبل لجنة متخصصة في مجال البحث، ليتم اعتماد البحث والتأكد من صلاحيته لحل المشكلة، وبيان الإسهامات العلمية الجديدة التي يقدمها البحث للمعرفة.

أهمية البحث العلمي [٧]

وتبرز أهمية البحث العلمي بازدياد اعتماد الدول على البحث العلمي إدراكاً منها بمدى أهمية البحث العلمي في تحقيق التقدم والتطور الحضاري واستمراريته وأصبحت منهجية البحث العلمي واساليب القيام بها من الأمور المسلم بها في المؤسسات الأكاديمية ومراكز البحوث، إضافة إلى انتشار استخدامها في معالجة المشكلات التي تواجه المؤسسات العامة والخاصة على حد سواء،

وعلاوة على ما يحققه البحث العلمي من منافع للمجتمع الإنساني فإنه يعود على الباحث نفسه بفوائد شخصية هامة وتؤكد السياسات التربوية الحديثة في جميع مستويات التعليم أهمية البحث العلمي وفوائده بالنسبة للباحث.

أهمية البحث العلمي للمجتمع [٨]

البحث العلمي وهو البحث الذي يقوم به باحث ما من أجل حل إحدى المشكلات العالقة، وإيجاد الحلول المنطقية لها.

ولقد تم تعريف البحث العلمي بأنه فن يهدف الباحث من خلاله إلى وصف التفاعل الذي يجري بين النظريات والحقائق، وذلك لكي يحصل الباحث على حقائق ذات قيمة كبيرة، أو نظريات تنبؤية.

ويعد البحث العلمي من أهم العوامل في تقدم وتطور الحضارة الإنسانية، ولقد ساهمت البحوث العلمية منذ العصور القديمة في تقديم معلومات مهمة للإنسان ساعدته على تفسير الظواهر الغامضة ، ومن خلال البحث العلمي يقوم الباحث باكتشاف نظريات لم يسبق لأحد اكتشافها، أو يقوم بإثبات صحة نظريات أو نفي صحتها، يجب أن يدعم الباحث إجاباته بالأدلة والبراهين التي تؤكد صدق كلامه. وتتعدد الأسباب التي تدفع الباحث للقيام بالبحث، فقد يقوم الباحث ببحثه العلمي مدفوعاً برغبة منه في تقديم معلومات مفيدة للبشرية، ورغبة منه في تقديم معلومات تساعد على حل الظواهر الغامضة، وقد يكون الفضول وراء قيام الباحث بالبحث العلمي، فقد تظهر ظاهرة علمية تحرك فضول الباحث وتدفعه للقيام بالبحث العلمي، وقد يقوم الباحث بالبحث العلمي رغبة منه في الحصول على درجة علمية كشهادة بكالوريوس أو ماجستير أو دكتوراه، أو رغبة منه في نيل مكانة مرموقة في المجتمع وتخليد اسمه فيه.

ولقد عرفت البشرية البحث العلمي منذ العصور القديمة، حيث قامت الحضارات القديمة بالعديد من الاكتشافات، وتميز البحث في العصور القديمة بالعشوائية، وعدم التنظيم، ولم يكن بين يدي الباحث في تلك العصور وسائل حديثة، وعلى الرغم من هذا فإن الحضارات القديمة قد تمكنت من تحقيق عدد كبير من الإنجازات على صعيد البحث العلمي.

ومع تقدم البشرية وتطورها تم وضع مجموعة من الضوابط لكي يلتزم الباحث بها أثناء قيامه بالبحث العلمي، وساهمت هذه الضوابط بتوضيح شكل البحث العلمي،

وبتوفير الوقت والجهد على الباحث والذي أصبح يلتزم بإطار معين عند قيامه بكتابة بحثه العلمي.

أهمية البحث العلمي للباحث

تعود الأبحاث بالنفع على الباحثين بعدة أمور، ومنها ما يأتي [٩]:

- ١- تتمثل أهمية البحث العلمي في زيادة الثقافة والمعرفة من خلال جمع البيانات والوثائق المتعددة حول البحث، وكلما زادت المعلومات بتفاصيلها في الموضوع، جعل هذا الباحث متفوقاً أكثر،
- ٢- وكذلك تتمثل أهمية البحث العلمي في إثبات الحقائق وتفسيرها إن كان للباحث شكوك حول موضوعه، فهو يُثابر لجمع التفاصيل التي تنفي شكوكه، وتثبت الحقيقة العلمية لموضوع البحث.
- ٣- تتمثل أهمية البحث العلمي في إبراز ضرورة الإدراك الصحيح لموضوع البحث، حيث ينبغي على الباحث أن يتعمق في الموضوع المعني ليتمكن من دراسته، والتعامل معه.
- ٤- تتمثل أهمية البحث العلمي في معرفة المجال الذي يناسب الباحث، حيث يُحدّد الباحثون من خلال البحث المساقات والمواضيع التي تُناسبهم، وتجذبهم للبحث فيها، فالبحث لا يتعلّق فقط بإتمام الدراسة ونشرها، بل يُحدّد للباحث الحقول العلمية التي يرغب بدخولها في المستقبل.
- ٥- تتمثل أهمية البحث العلمي في القدرة على الإنجاز بشكل فردي أو جماعي، حيث يتمكن الباحث بواسطة إنجازهِ للبحوث، من تعلّم كيفية الموازنة بين العمل الذي يقع على عاتقهم بشكل فردي، وبين التنسيق في العمل كمجموعات.
- ٦- تتمثل أهمية البحث العلمي في معرفة منشأ موضوع البحث وأصله، حيث يبدأ الباحث بجمع المعلومات لمعرفة الأصل الذي نشأ منه موضوع البحث الذي بين يديه، ومن خلال العملية التراكمية للمعلومات ينتج بحث موسوعي مليء بالمعلومات.

أهمية البحث العلمي للمجتمع

تكمُن أهمية البحث العلمي للمجتمع في ما يأتي [١٠]:

- ١- تتمثل أهمية البحث العلمي في خلق الثقافة، والمعرفة جديدة. تتيح الأبحاث العلمية للباحثين فرصة رفع مستوى المعرفة العام.
- ٢- تتمثل أهمية البحث العلمي في تقديم رؤية عن المستقبل، والاتجاه الذي تسير فيه المجالات المعرفية، ومدى تطورها.
- ٣- تتمثل أهمية البحث العلمي في مساعدة الناس على فهم ورؤية الكون بشكل أوضح.
- ٤- تتمثل أهمية البحث العلمي في إنجاح الأعمال التجارية والمشاريع.
- ٥- تتمثل أهمية البحث العلمي في اعتبارها أحد المصادر التي تساهم في الاختراعات التكنولوجية.

- ٦- تتمثل أهمية البحث العلمي في تزويد الباحث من إمكانيات التفكير العميق.
- ٧- تتمثل أهمية البحث العلمي في مساعدة الباحث العلمي على تفعيل العقل للتعرف على ما يحدث في أماكن مخفية عن الأنظار.
- ٨- تتمثل أهمية البحث العلمي في تنمية أساليب ومنهجيات وآليات متطورة لإجراء الدراسات.

٩- تتمثل أهمية البحث العلمي في تنمية الاقتصاد.

المبحث الثالث / الدراسة العملية

ما هي خطوات كتابة البحث العلمي؟

- ١- اختيار موضوع البحث العلمي:
 - يعد اختيار موضوع البحث العلمي من أهم الأمور التي يجب على الباحث الحرص أثناء اختيارها، لذلك يجب أن يقوم الباحث باختيار موضوعا غير مستهلك ومدرس من قبل.
 - يجب أن يكون موضوع البحث العلمي من ضمن دراسة الباحث، وذلك لكي يكون الباحث على اطلاع كامل عليه.
 - ويجب أن يحرص الباحث على أن يقدم موضوع دراسته معلومات مفيدة ومهمة.
- ٢- اختيار عنوان البحث العلمي:
 - يجب أن يقوم الباحث بوضع عنوان جيد للبحث العلمي الذي يقوم به، ويجب أن يكون هذا العنوان متوافقا مع شروط العنوان الجيد.
 - ومن أبرز شروط عنوان البحث العلمي الجيد أن يكون ملائما لموضوع الدراسة، وأن يكون واضحا وخاليا من الكلمات الغامضة.
 - كما يجب ألا يتجاوز طول عنوان البحث العلمي خمسة عشر كلمة ولا يجب أن يقل عن الخمس كلمات.
 - كما يجب أن يكون عنوان البحث العلمي سهل الحفظ، ومرتبط بالبحث العلمي بشكل وثيق.
- ٣- مقدمة البحث العلمي:
 - وهي عبارة عن صفحة واحدة يكتبها الباحث بعد أن ينتهي من بحثه العلمي، ويضعها في أول البحث.
 - ويجب أن يقوم الباحث بصياغة مقدمة البحث العلمي بطريقة جيدة، كما يجب عليه أن يحرص على خلوها من الأخطاء الإملائية والنحوية.
 - ويجب أن تقدم مقدمة البحث العلمي لمحة عامة عن كامل البحث العلمي، وكافة الأمور التي وردت في هذا البحث.

- ٤- مشكلة البحث العلمي:
 - وهي الشيء الذي أثار الفضول في نفس القارئ، وحفزه من أجل القيام بالبحث العلمي.
 - ويجب أن يقوم الباحث بصياغة مشكلة البحث العلمي على شكل فرضية، كما يجب عليه أن يتأكد من وجود حل لهذه المشكلة.
- ٥- أسئلة البحث العلمي:
 - وهي سؤال واحد أو عدة أسئلة يقوم الباحث باستنتاجها من بحثه العلمي، ومن خلال الإجابة عن هذه الأسئلة يجب أن يصل الباحث بحل لمشكلة البحث العلمي.
 - ويجب أن يحرص الباحث على استنتاج أسئلة واضحة، كما يجب عليه أن يقوم بصياغة هذه الأسئلة بطريقة صحيحة.
- ٦- أهداف البحث العلمي:
 - وهي مجموعة الأهداف التي يضعها الباحث نصب عينه ويسعى إلى تحقيقها من خلال قيامه بالبحث العلمي.
 - ويجب أن يكون الباحث واقعياً خلال وضع أهداف البحث العلمي فلا يجب أن يضع أهداف غير قابلة للتحقيق.
- ٧- اختيار عينة البحث العلمي:
 - تعد عينة البحث العلمي المصدر الأول للمعلومات حيث أن عينة البحث العلمي تم البحت بعدد كبير من المعلومات المتعلقة بالبحث العلمي.
 - لذلك يجب أن يكون الباحث حريصاً عند اختيار عينة الدراسة، حيث يجب عليه اختيار عينة دراسة مطلعة على البحث العلمي الذي يقوم به.
- ٨- خطة البحث العلمي:
 - خطة البحث العلمي وهي الخطة التي يسير عليها خلال بحثه العلمي.
 - وتساعد خطة البحث العملي على إنهاء الباحث لبحثه العلمي في الوقت المحدد.
- ٩- مرحلة جمع المعلومات:
 - وتعد هذه المرحلة من أهم مراحل البحث العلمي، حيث يجب على الباحث أن يقوم بجمع معلومات متعلقة بالبحث العلمي من المراجع التي تحدثت عن البحث العلمي.
 - وكلما عاد الباحث إلى مصادر أكثر كلما جمع معلومات أفضل عن بحثه العلمي.
- ١٠- خاتمة البحث العلمي:
 - خاتمة البحث العلمي وهي الجزء الأخير من البحث العلمي، وتحتوي على نتائج البحث العلمي وتوصياته.
 - ويجب أن يقوم الباحث بصياغة الخاتمة بأسلوب قوي وبشكل مختصر.

- ١١- قائمة المصادر والمراجع:
- لكل بحث علمي قائمة من المصادر والمراجع التي يعود لها الباحث خلال البحث العلمي.
- ويجب أن يقوم بترتيب هذه المصادر بحسب طرق ترتيب المصادر والمراجع المتبعة.
- أهمية البحث العلمي بالنسبة للباحث (١١)**
- ١- يساهم البحث العلمي في زيادة اطلاع الباحث على مجال البحث العلمي، الأمر الذي يكسبه خبرة كبيرة في مجال البحث العلمي.
- ٢- من خلال البحث العلمي يستطيع الباحث التوصل إلى كافة المصادر التي تساعده على إيجاد المعلومات الدقيقة.
- ٣- يساهم البحث العلمي في حصول الباحث على مكانة مرموقة في المجتمع الذي يعيش به.
- ٤- قد ينال الباحث بسبب البحث العلمي منصبا مهما في الدولة. (١٢)
- ٥- يساهم البحث العلمي في تنمية قدرات الباحث على النقد والتحليل.
- ٦- يعود البحث العلمي الباحث على الصبر، كما يجعله يواكب أهم التطورات التي تتعلق وترتبط بالبحث العلمي.
- أهمية البحث العلمي بالنسبة للمجتمع (١٣)**
- ١- يساهم البحث العلمي في تخلص المجتمع من الظواهر السلبية وذلك لأن البحث العلمي يجد الحلول لهذه الظواهر.
- ٢- يساهم البحث العلمي في تقدم المجتمع في كافة نواحي الحياة.
- ٣- يلعب البحث العلمي دورا كبيرا في دفع عجلة التطور نحو الأمام.
- ٤- للبحث العلمي دور كبير في إثبات صحة النظريات الصحيحة، وتصحيح النظريات الخاطئة.
- إليك عزيزي الباحث عدة طرق يجب عليك اتباعها عند كتابة البحث العلمي لتحقيق تنمية مجتمعتك، ومنها (١٤):-
- ١- أن تكون المراكز العلمية المتوفرة سواء كانت مدرسية أو جامعية أو بحثية تتناسب مع عدد السكان الموجودين في تلك المنطقة على سبيل المثال.
- ٢- الميزانية اللازمة للبحث العلمي والنفاق عليه لتطويره يجب أن تكون مدروسة وموضوعة وفق خطة محكمة ومعدة مسبقاً لضمان استمرارية عملها.
- ٣- يجب توفير مبالغ سنوية للجامعات والمراكز البحثية قادرة على تغطية نفقات العاملين، وتوفير مبالغ مالية مخصصة لكل من له القدرة على دفع عجلة التنمية من خلال البحث العلمي.

٤- الحد من المعوقات التي بإمكانها أن تقف في طريق البحث العلمي ودفع عجلته للأمام، والاستعانة بفريق كامل متكامل من أصحاب الخبرات في مجال البحث العلمي.

وبناءً على ما سبق يمكن القول بأن البحث العلمي يشكل حجر الزاوية لتقدم الباحث العلمي على الصعيد الشخصي والعلمي وكذلك تقدم المجتمع الذي ينتمي إليه الباحث العلمي. حيث يقوم الباحث العلمي بإعداد الباحث العلمي بتناول مشكلة بحثية يعاني منها المجتمع خاصته، ومن هنا يتبين أن الباحث العلمي يساهم بحل أكثر المشاكل التي تواجهه ومجتمعه وذلك بعد الإطلاع على العديد من الأبحاث وكذلك الدراسات العلمية التي تتناول متغيرات عنوان البحث العلمي الخاص بالباحث العلمي. ولا ريب أن هذا له دور كبير في رفع شأن الباحث العلمي في مجتمعه، إذ هو الشخص الذي كان قد سهر ليالٍ طوال وهو يبحث ويعد ويكتب بحثاً علمياً من أجل معالجة مشكلة ما يتعرض إليها المجتمع وكذلك من أجل تحقيق الأهداف المرجوة من اختيار موضوع البحث العلمي خاصته دون غيره من المواضيع.

حيث يتجلى دور البحث العلمي في تنمية المجتمع الذي ينتمي إليه الباحث العلمي في أن الباحث العلمي يقوم بالدراسة حول ظاهرة معينة يعاني منها الباحث العلمي، إذ يقوم الباحث العلمي باتباع الإجراءات التي من شأنها أن تحته على جمع المعلومات المتعلقة بتلك الظاهرة، وتتمثل تلك المعلومات في ماهية الأسباب التي دعت إلى انتشار تلك الظاهرة في مجتمع البحث العلمي، وكذلك العوامل التي ساعدت إلى نشأة تلك الظاهرة، إلى أن يصل الباحث العلمي في النهاية النتائج التي من شأنها أن تبرز كيفية التعامل مع تلك الظاهرة من أجل الحد من انتشارها وبالتالي القضاء عليها.

ومن هنا يمكن القول بأن هذا المقال يبين أهمية البحث العلمي التي تعود على كل من الفرد ولا سيما الباحث العلمي وكذلك المجتمع الذي ينتمي إليه الباحث العلمي. حيث أن أهمية البحث العلمي من شأنها أن ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالعوائد الذي يحظى بها الباحث العلمي. لذا، إن أهمية البحث العلمي الأولى تتمثل في أنها توسع من مدارك الباحث العلمي حول موضوع البحث العلمي الذي يتناوله؛ وذلك لأن الباحث العلمي يقوم بجمع المعلومات التي يود بتضمينها في البحث العلمي خاصته من مختلف المصادر والمراجع العلمية.

كما وتبين أهمية البحث العلمي في أنها تساعد على نشر العلم والمعرفة حول موضوع البحث العلمي وذلك عندما يستعين الآخرون بالبحث العلمي من أجل كتابة بحوثهم الخاصة ورسائلهم العلمية. علاوة على ذلك، تتمثل أهمية كتابة البحث العلمي في أنها تحث المهتمين في موضوع ما على القراءة وذلك عندما يكون أسلوب الباحث العلمي شيق وسلس في الكتابة وعرض محتوى البحث العلمي في خطوات علمية. كما أن لأهمية البحث العلمي دور في إبراز قدرة الباحث العلمي على الكتابة وبالتالي ترك

الانطباع المتميز حول كفاءة الباحث العلمي في الكتابة وبالتالي جودة المحتوى العلمي في البحث العلمي. ونستنتج مما سبق أن البحث العلمي هو المحرك الأساسي لعجلة التطور والتقدم، وذلك من خلال الاكتشافات التي يقدمها في المجالات كافة.

المصادر

- ١- حمدان محمد زياد، ١٩٨٩ - البحث العلمي أنظام. سلسلة التربية الحديثة. دار التربية الحديثة. عمان - الأردن. (٣٠٤ ص)
- ٢- ندوة البحث العلمي في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية (الواقع والتطلعات) ١٢- ١٤ نوفمبر ٢٠٠٠ الرياض - المملكة العربية السعودية.
- ٣- عبيدات عبد الحق عدس، ١٩٨٩ - البحث العلمي (مفهومه - أدواته - أساليبه) دار الفكر للنشر والتوزيع (٣٢٠ ص).
- ٤- عساف عبد المعطي، عبد الرحيم يعقوب، مسودة مازن، ٢٠٠٢ - التطورات المنهجية وعملية البحث العلمي. مكتبة النيل والفرات. سورية (٢٥٦ ص)
- ٥- دويدري رجاء وحيد، ٢٠٠٠ - البحث العلمي أساسياته النظرية وممارسته العملية. دار الفكر المعاصر - سورية. (٥٠٤ ص) .
- ٦- عمر زيان محمد، ١٩٨٣ - البحث العلمي، مناهجه وتقنياته. دار العلم للطباعة والنشر، جدة - المملكة العربية السعودية. (٥٣٦ ص).
- ٧- بدر أحمد، ١٩٨٤ - أصول البحث العلمي ومناهجه. وآلة المطبوعات بالكويت (٥٥٢ ص).
- ٨- البهادلي علي أحمد، ٢٠٠١ - أصول البحث العلمي، مؤسسة الفكر الإسلامي. - مكتبة النيل والفرات. سورية.
- ٩- الصيرفي محمد، ٢٠٠٢ - أساليب البحث العلمي. دار وائل للطباعة والنشر والتوزيع (٤٤٩ ص)
- ١٠- الصادق فؤاد، ١٩٨٩ - مبادئ في مناهج البحث العلمي . دار العلوم (١٨١)
- ١١- طاهر أحمد جمال، ١٩٨٤ - البحث العلمي الحديث. دار الفكر للنشر والتوزيع. عمان - المملكة الأردنية الهاشمية. (٢٩٩ ص).

12- <https://mawdoo3.com>

13- <http://fcds.com/social/103>

14- <https://www.manaraa.com/post/2420-البحث-العلمي-ودوره-في-تنمية-المجتمع>